صور وحكايات

محمد مصطفى



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مصطفى . محمد
صور وحكايات / محمد مصطفى ٠ _ ط ٠١ _ القاهرة :
دار المعارف، (٢٠٠٧)
٢٢٤ ص ؛ ٢١سم
تدمك ٩ ٧٠٨٤ ٠٢ ٩٧٧
١ - الفنانون
أ - العنوان

ديوى ٩٢٧

رقم الإيداع ٣٧١٢ / ٢٠٠٧ — ٢ / ٢٠٠٧ / ١

تصميم الغلاف
مجدى مصطفى

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بدايـــة أعـــترف أن فصول هذا الكتـــاب لا يمكن تصنيفها بأنها سيرة ذاتية للشخصيات التي اخترت تقديمها.. لقناعتي بأن كتابة الســـير الذاتية تحتاج «لتكنيـــك» مختلف يغـــوص في التفاصيل إلى أقصى حد، ويلتزم بالمراجعة والتدقيق ويشمل كل جوانب الشـــخصية من الناحية التاريخية والســـيكولوجية، ويرصـــد عن قرب الســـيرة والمســـيرة الـــتي أفرزت هـــذه الشـــخصية أو تلـــك إلى آخر قواعـــد وعناصر وأصول كتابة الســـير الذاتية للشـــخصيات والرموز.

لكـــن ما تضمه دفتا هذا الكتاب شـــيء مختلف تماما.. إنه مجرد توقـــف عند بعض المحطات الـــتي اخترت الوقوف عندها والتي رأيت أنها تحمل قيمة أو مثالا أو حدثا يستحق الوقوف عنده أو المرور عليه.أما عن اختيار هذه الشخصيات بعينهـــا على الرغم من عـــدم التطابق في نوع العطاء والإبداع فيما بينها فيرجع الســـبب إلى أن هذه الأسماء قد تركت في نفســـي صدى مختلفا ظل يتردد داخلي ســـنوات طويلة من عمري.. بعضهم التقيت بهم عن قرب.. حاورتهم.. نبشت في أعماقهم وتعرفت إلى مناطق مضيئة داخلهم، والبعض الآخر تابعت مسيرته عبر الاطلاع والمطالعة ومن خلال ما أحدثوه من تأثيرات مختلفة ليس كلها إيجابيا بالطبع.. لكن مواقف البعض أثارت داخلي دوامـــات من الفضول دفعتني لمتابعة

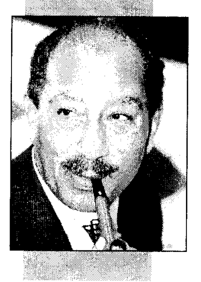
البحث والتنقيب.. وقد يجد قارئ هذا الكتاب تنوعاً في شخصية ونطاق عمل بعض الشخصيات وقد يتساءل ما العلاقة التي ربطت بينهم، وأجدني فيما ذكرته في السطور الماضية قد حاولت الإجابة.

يبقى أن أقول.. إنني حاولت جهدي التزام الأمانة والحياد فيما توفر بين يدي من وثائق تعددت مشاربها، آملا أن تلقى تلك المحاولة رضا قارئي العزيز خاصة وأن هذه المجموعة تمثل الجزء الأول والذي سيتبعه أجزاء وشخصيات أخرى.. والله المستعان.

محمد مصطفى

السادات

❑ الرئيسُ، والإنسَان



- تفاصيل آخر يوم في حياته كما ترويها قرينته
- جمال السادات: أبي لم يكن يرتاح لـ «بيجين» ويرى صعوبة في التعامل معه
- سكينة السادات: الصداقة التي جمعت «السادات» و«ناصر» علمتنا الحب
- رحيل «عبد الناصر» والملك «فيصل» أقسى لحظات الحزن في حياة السادات
- استضافته لشاه إيران رد لجميله في حرب أكتوبر

السَّيرُ إلى النِّهاية

توقفت وأنا أقلب في مجموعة من الصور النادرة للرئيس الراحل «أنور السادات» عند صورة يظهر فيها السادات وسط عدد من كبار قادة القوات المسلحة وهم يسيرون بخطوة عسكرية شامخة متجهين إلى المنصة لمشاهدة العرض العسكري احتفالا بذكرى نصر أكتوبر .. وتساءلت .. ترى هل كان السادات يسير إلى النهاية وهو مرفوع الرأس بما حققه رجال القوات المسلحة من إنجاز تاريخي؟ ومن هنا فقد فرض اليوم الأخير في حياة أنور السادات نفسه ليمثل هذا الفصل من الكتاب وقفزت إلى السطح مشاهد هذا اليوم التي شهدت كل تفاصيله قرينة السادات السيدة جيهان التي توجهت إليها في أحد حواراتي معها بسؤال عن تفاصيل هذا اليوم الحزين .. وبعد صمت دام لدقائق شعرت خلالها بصعوبة استدعاء السيدة المكلومة لذكريات أليمة .. قالت : في ذلك اليوم أيقظت أنور مبكرا وبعد أن قام بأداء بعض التمرينات الرياضية واستسلم لمدلكه الخاص ليجري له عملية التدليك اليومية، أخذ دشا ثم أدى صلاة الصبح وتناول إفطارا خفيفا، ثم ناولته الصحف وهو جالس في سريره.. فطلب مني أن أحضر إليه حفيدتنا «ياسمين» ابنة ابننا جمال التي كانت تبلغ وقتها سنتين، وكعادته أخذ يداعبها، وأنا أستمع إلى ضحكاتهما المدوية، وأوصاني أنور أن أحضر معي إلى العرض حفيدنا «شريف»

الذي كان في الخامسة من عمره، مؤكدا على ضرورة ارتدائه الزي العسكري .. تماما كما كان يصر على ارتداء ابننا «جمال» لنفس الزي عندما كان صغيرا، والغريب أنني كنت قد رتبت نفسي على مشاهدة العرض العسكري بالتليفزيون، لكن أحد الضباط أقنعني بضرورة حضوري فجهزت نفسي للخروج قبل وقت قليل من ذهاب أنور مع كل من السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، وهما عادة ما يحضران كل عام في مثل هذا اليوم إلى منزلنا ليصطحبا زوجي في نفس السيارة إلى وزارة الدفاع، ويعقدون هناك اجتماعا، ثم يذهبون جميعا لمشاهدة العرض

وتتذكر السيدة جيهان السادات تفاصيل هذا اليوم فتقول : لقد أصبح من العادات والطقوس التي أمارسها كل عام في هذا اليوم أن أساعد زوجي في ارتداء حلته العسكرية وقد كانت هناك حلة عسكرية جديدة قد وصلته قبل أيام من الترزي الخاص به. ولاحظت أن «أنور» لم يرتد القميص الواقي من الرصاص تحت البدلة الجديدة، وكان تفسيره في أول الأمر أن القميص سوف يؤثر على انسجام البدلة وأخذ يطمئنني قائلا :«اطمئني يا جيهان الأعمار بيد الله». ثم نزل للدور الأسفل لتحية السيدين نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، وانتظرت «أنور» أثناء نزوله لأقدم إليه التحية العسكرية هو ونائبه ووزير دفاعه وكنت في وداعهم جميعا وأنا أقول «كل سنة وأنتم طيبين» داعية الله أن يوفقهم ويحميهم ويثبت خطاهم. ثم بعدها صعدت إلى غرفتي لأرتدي ملابسي

واستقل السيارة لموقع العرض وحَدَثَ ما حَدَث.

وتواصل السيدة جيهان روايتها عن تفاصيل ذلك اليوم المأساوي وتقول: انصرف أنور دون أن يأخذ معه عصا المرشالية التي كانت موضوعة بالقرب من باب الخروج، وفي الحقيقة سعدت بأنه لم يأخذ هذه العصا لأني أكرهها، وكثيرا ما كنت أعبر لأنور عن ضيقي منها وأسأله عن سبب تمسكه بها، فكان يجيبني قائلا: «دي أمور عسكرية أنت لا تفهمينها .. والواقع أن «أنور» كان يعتز بعسكريته أشد الاعتزاز، وكان يعتبر هذه العصا رمزا للعسكرية .. ولعل من عجائب القدر أن المرة الوحيدة التي لم يمسك فيها عصاه كانت في ذلك اليوم.

وبعد أن وصلت إلى ساحة العرض وأثناء دخول أنور إلى المنصة لاحظت على وجهه ابتسامة مشرقة، وعندما وصل إلى موقع جلوسه، نظر إلى أعلى المنصة ليتأكد من وجودي أنا وأحفادنا وأخذ يلوح لنا .. وتطلق السيدة جيهان السادات تنهيدة عميقة تحمل ذكريات أليمة وتقول: لم تكن ابتسامة زوجي في ذلك اليوم ابتسامة عادية، لقد كانت من النوع الذي لا يمكن أن ينتهي أو يزول أثره.وحَدَثَ ما حَدَث.

ووسط الذهول الذي سيطر على الجميع أخذت أتلفت باحثة عن زوجي محاولة السيطرة على أعصابي وأنا أسير في المنصة، والتقيت بأحد رجال الحرس الجمهوري الذي غطت الدماء سترته البيضاء وسألته : أين الرئيس السادات؟ .. فأخذ الرجل يقسم

لـي أنـه حمله إلى الطائرة الـتي أقلّته إلى مستشـفى المعادي بعد أن أصيب بيده إصابة بسـيطة .. وعلى الفور ركبت السـيارة مع أحفـادي إلى الطائرة الهليكوبتر التي كانت في انتظارنا بقصر القبة والـتي طارت بنـا إلى مستشـفى المعادي .. وعندمـا وصلت إلى المستشـفى قرأت علـى الوجوه ما كان يعلوهـا من حزن ووجوم، واسـتبد بي القلـق عندما علمت أن زوجـي في غرفة العمليات .. ومع مرور الساعات كانت مساحة الغموض تزداد، فاستدرت نحو السيد حسـني مبارك نائب رئيس الجمهورية وقلت له: يبدو أن «السـادات» الآن بين يدي ربه، وقد جاء دورك يا سـيادة النائب لقيادة الأمة .. أرجوك تفضل فقد حان وقت رعايتك لمصر .. فنظر إلـيَّ الرجل وهـو في قمة التأثر ولم يتكلم .. قلـت ذلك ولا يزال بصيـص من الأمل يراودني وأنا في طريقـي إلى غرفة العمليات .. لكن هذا الأمل سـرعان ما توارى وأنا أشاهد جسد زوجي مسجي وهو يرتدي حلَّته العسكرية وقد تمزق كمها، فارتميت على صدره بينمـا كل من حولي يذرفـون الدموع الحارة .. وراح بعضهم يربط قماشاً حول رأس زوجي حتى يظل فمه مغلقاً، وبعد قليل وصلت بناتي، وقبَّلْنَ أباهنَّ في ألم ولوعة.

لماذا قُتِل السَّادات؟

وأترك السـيدة جيهان لذكرياتها وأحزانها .. وعدت أقلب في أكوام الصور التي أمامي وأسـتدعي الذكريات، وأنبش في أحداث الماضي ليبرز سؤال مرير: لماذا قتل السادات؟

ولا أجد إجابة شافية أو مريحة سوى أنه العبث وغياب الوعي بحقيقة رجل سبق عصره عندما قرر مواجهة عدوه بالذهاب إلى القدس، وعلى الرغم من انقضاء سنوات طويلة على هذا الحدث المهم وما تبعه من أحداث غيَّرت مجرى التاريخ فلا يزال الجدل قائماً ولا تزال زيارة السادات للقدس حدثاً تحت المجهر، وقد جنح البعض إلى الادعاء بأن زيارة السادات للقدس كانت واحدة من أسباب حادث المنصَّة.

راجل البيت

وبين يدي عشرات الصور التي تسجل تفاصيل زيارة السادات للقدس، والتي حملتها وأنا ألتقي مع «جمال السادات» ابن الرئيس الراحل، وطلبت منه أن يحدثني عن تفاصيل هذه الأيام فقال: في الواقع لقد كان والدي طبيعياً للغاية في تعامله معنا في الأيام التي سبقت سفره إلى القدس، كانت مشاعره مستقرة، ولا يبدو عليه أي انفعال، وقبل هذه الرحلة ودعنا وسافر إلى الإسماعيلية، وقد رجوته أن أسافر معه إلى القدس لكنه قال لي بحنان: .. يا ابني لا يوجد مكان على الطائرة .. ولم أناقشه .. وعندما شاهدته وهو يلقي خطابه في الكنيست كنت مشدوداً، ولم أتمكن من استيعاب الخطاب وقتها، لكني كنت فخوراً به للغاية وهو يتكلم وسط أعدائه بهذه القوة والثقة؛ أما عن قرار السفر في حد ذاته فقد كانت الأسرة جميعها تؤيد هذا القرار وتقتنع به .. وحتى الآن لا زلت لا أتخيل كيف اتخذ والدي هذا القرار ..

وكيف سافر إلى الإسرائيليين؟

ويضيف «جمال السادات» فيقول: وعلى رغم أنني كنت صغير السـن وقتها لكني أتذكر أن والدي عندما ودَّعني وهو مسـافر إلى القدس لم ينس أن يقول لي عبارته الدائمة: أنت راجل البيت.

وأثناء حواري مع نجل السـادات قال لي: إن الرئيس الراحل لم يكـن يرتاح إلى «مناحيم بيجـن»، ويرى أن التفاهم معه صعب للغاية؛ أما الآن فإن جمال يشـعر بأن والده لم يكن يهتم بنفسه، وإنما كان يعمل من أجل بلده ووطنه.

وأتذكر هذه الجملة التي قالها جمال السـادات: إنني أدعو له في صلاتـي كل يوم وأقول له: اسـترح فمـا فعلته لم يذهب هباءً والكل يحذو حذوك على طريق السلام.

العَومُ هو الحل

وأنـا أقلـب في أكـوام الصور الـتي تضمها خزانـتي للرئيس أنور السـادات توقفـت مرة أخرى أمـام صورة نـادرة.. الرئيس راكب درَّاجة، وخلفه حفيده «شـريف».. لم تتمثل غرابة الصورة في ركـوب رئيـس الجمهورية لدراجة فحسـب، ولكن في التعليق الـذي سمعته من المصـور فاروق إبراهيم الـذي حصلت منه على هـذه الصورة.. فقـد التقط له هـذه الصورة في اسـتراحة المعمورة يـوم جمعة بعـد دقائق قليلة من أدائـه صلاة الجمعـة في زاوية صغيرة بأبي قير حيث فوجئ بتليفون من السـيد حسـني مبارك

نائب الرئيس في ذلك الوقت يبلغه باستيلاء بعض المتطرفين الفلسطينيين على سفارة مصر في تركيا واحتجاز أعضائها كرهائن، وبدلاً من أن تتوتر أعصاب الرئيس السادات اتجه إلى أحد أطفال الأسرة وكان يركب دراجة ذات بدَّالين وأخذ الدراجة، ثم حمل حفيده «شريف» ووضعه على الكرسي الخلفي، وأخذ يقود الدراجة ويسير بها وسط الأشجار في حديقة المعمورة.. وبعد دقائق ترك الدراجة وجلس في الحديقة وهو يمزح مع أفراد أسرته ويضحك بصوت عالٍ، ويرد على المكالمات التليفونية التي كانت تأتيه حول نفس الخبر دون أن تفارقه الابتسامة أو تخفت ضحكاته وكأن شيئاً لم يحدث.. ثم طلب من فاروق إبراهيم أن يتبعه إلى شاطئ المنتزه ونزل في المياه يعوم وكاميرا فاروق تلتقط له العديد من الصور وهو مستغرق في السباحة.. وفي التفكير أيضاً.

السادات الأخُ

هكذا كان الرئيس السادات دائماً حسب ما ذكرته لي قرينته السيدة جيهان يفكر بهدوء شديد وبلا توتر حتى يكون قراره صائباً.. وهو ما أكدته شقيقته السيدة «سكينة السادات» في أحد حواراتي معها حين سألتها عما تعلمته من شقيقها «أنور» فقالت: لقد تعلَّمت منه الكثير.. ولكن أكثر شيء تعلمته هو هدوء التفكير والصبر والقناعة والتمسك بعادات وتقاليد الريف.

وتضيف السـيدة سكينة السـادات: لقد كان أنور رجلاً بمعنى الكلمـة وربَّاني أحسـن تربيـة، وهو الذي شـجعني على إكمال تعليمي.. كان بالنسـبة لي أنا وإخوتي القائد والأب الذي يعطي تعليماته ونحن نحترمها بشدة.

لقـد كان أنور ابنا باراً وأخـاً حنوناً .. وأتذكر هنا ما قالته لي السيدة جيهان بأنها شاهدت الدموع في عيني أنور السادات طوال حياتهـا معـه مرتين .. الأولى يوم ماتت أمه بـين ذراعيه، والمرة الثانية عندما اسـتمع لخبر استشهاد شـقيقه الأصغر «عاطف» في أول أيـام حـرب أكتوبر ١٩٧٣ .. فقـد كان يحب «عاطف» حباً كبيراً ويعتبره ابناً له حيث كان أنور يكبره بحوالي ٢٧ سنة .

السادات الأبُ والصديق

دفعتـني كلمات السـيدتين جيهان وسـكينة السـادات إلى التنقيـب والبحث في صـور وحكايات أنور السـادات الأب.. وأعود مرة أخرى إلى حواري مع جمال السـادات عندما سألته عن أنور السادات الأب الذي كان يقول له دائماً – كلما سافر– أنـت راجل البيت.. يقول جمال: على رغم حرص والدى على تربيتنا على القيم والتقاليد والمبادئ إلا أنه لم يكن أباً شديداً أو قاسياً، ولذلك كنا نسعى دائماً أنا وإخوتي أن نكون عند حسن ظنـه ولا نغضبه.. كنت أنا وإخوتي نحرص ونحاسـب في كل تصرفاتنا خوفاً على زعله خاصة وأنه كان هادئاً في تعامله معنا

ولم يعنف أو يضرب أحداً منا.. لقد كان شـديد الطيبة.. وعلى رغم كثرة مشاغله كان حنوناً جداً على أبنائه ويهتم بكل شئوننا أنـا وإخوتـي.. كان يوجهنـا في هدوء ولا يتدخـل في قراراتنا واختياراتنا.. وأتذكر أنني في بداية دراسـتي الجامعية كنت قد التحقـت بكلية الطب ثم غيرت رأيي وقررت الانتقال إلى كلية الهندسـة وعندما حاولت والدتي التدخل بالنصيحة قال لها: اتركيه يأخذ قراره بنفسه ويبتسم جمال الابن وهو يعود بذاكرته لموقف لأنور الأب معه ويقول: بعد فترة من تدخيني السـجائر وكنت أتصور أنه لا يعلم، فوجئت في مساء يوم وأنا جالس معه نشاهد أحد الأفلام أن وضع ذراعه على كتفي وقال: يا بني إذا كان ولابـد من التدخين فدخن «بايب» بدلاً من السـجاير التي تضر بصحتك.. فقد كان من وجهة نظره أن «البايب» أقل ضرراً من السجاير..

لقد كان تدخين «البايب» يسـعده جداً لدرجة أنه لم يسـتمع لنصائح الأطباء بالامتناع عنه، وكنت أشعر أنه يستمتع وهو ينفث دخان «البايب» في الهواء.

ويضيف جمال الابن.. على رغم طيبة أبي الشديدة إلا أنه كان يغضب بشدة عندما يتدخل أحد في عمله أو حتى مجرد أن يسأله سواء كنت أنا أم أحد من إخوتي ولا حتى أقرب أصدقائه إليه وفي مقدمتهم الراحلان «سـيد مرعي» و«عثمان أحمد عثمان» على رغم أنـه كان يرتاح كثيراً لعثمان خاصة بعد المصاهرة. وكان هو رفيقه

الدائم في فترة التمشــية التي كان يمارســها والدي دائماً وبشــكل شــبه يومي في الهواء الطلق عصــراً.. كما كان يقدر "زكريا محيي الديــن" ويحبه، هذا غير علاقته الوطيدة بالرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»..

وقد أكدت السيدة «جيهان السادات» في حديثها معي على عمق هذه العلاقة حين قالــت: كان أنور يحب عبد الناصر ويحترمه، وكانا يقضيان معاً وقتاً طويلاً، وكثيراً ما كان أنور يتناول عشاءه في بيت عبد الناصر أو يتناول عبد الناصر عشاءه في بيتنا، وكان عبد الناصر يثق بأنور أكثر من غيره مدركاً أنه زاهد في السلطة.

أما «ســكينة السادات» فعندما سألتها عما بقى في ذاكرتها عن العلاقة بين «عبد الناصر» و«السادات» قالت: الواقع أنهما علمانا الحب من خلال علاقتهما الوطيدة.. لقد عشــنا طوال عمرنا نعتبر «ناصر» الأخ الأكبر مثله مثل «أنور».

السادات الإنسَان

لقد كان أنور الســادات رجلاً عنيداً في قراراته ولم يكن يســمح لأحد أن يتدخل فيها.. وعندما قلت للســيدة جيهان: إن البعض يردد أنك كنتِ تشــاركينه قراراته وأنــه كان كثيراً ما يعود إليك قبل اتخاذ القرار.. نفت ذلك وأكدت أنه لم يكن يسمح لأحد بأن يتدخل في عمله.

على رغم مظاهر العظمة والقوة التي كان يبدو عليها الرئيس السادات

في حياته ومواقفه السياسية، فقد كان في حياته العادية الشخصية ووسط أسرته إنساناً بسيطاً للغاية مثله مثل أي مواطن عادي.. كانت أسعد لحظات حياته عندما يداعب أحداً من أحفاده ويجلس معه على «المرجيحة» في حديقة الاستراحة.

ويتذكر جمال السادات حالة السعادة البالغة التي كان عليها والده عند إعادة افتتاح قناة السويس عام ١٩٧٥ ويقول: لم أرَ والدي في قمة سعادته مثلما كان في هذا اليوم، وكان يرتدي الحلّة البحرية، على رغم أن البعض انتقد ارتداءه لهذا الزي واعتبروه نوعاً من المظهرية، وهو في الواقع لم يكن يقصد المظهرية، وإنما باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة، وطالما أنه سيلتقي برجال البحرية فكان يفضل أن يظهر وكأنه واحد منهم، وهو بصفة عامة لم يكن يرتدي الزي العسكري إلا في المناسبات التي تحمل الطابع العسكري مثل مناسبة ٦ أكتوبر، وهي إحدى المناسبات أيضاً التي كان يبدو فيها دائماً في قمة سعادته.

وعلى الجانب الآخر كإنسان فقد كانت هناك مواقف صعبة جداً على نفس أنور السادات شعر خلالها بالحزن العميق.. وقد روي لي جمال السادات تفاصيل بعض هذه المواقف ومنها يوم سقوط الطائرة التي كانت تقل المشير «أحمد بدوي»، ولحظتها وقف يضرب كفاً بكف ويقول: «قيادتي راحت»، وكان يبدو عليه الحزن الشديد، كما حزن حزناً شديداً عندما جاءته المكالمة التليفونية بنبأ اغتيال الملك «فيصل» لأنه كان يحمل له تقديراً

ومعزة خاصة، وعلى رغم أنه كان شديد الإيمان إلا أنه في مثل هذه المواقف لا يتمكن من السيطرة على مشاعره؛ أما يوم رحيل الرئيس عبد الناصر فكان أصعب الأيام وأكثرها حزناً في حياته.

لم يكن السادات الإنسان يختلف في شيء من طباعه وخصاله عن كل ما يتصف به ابن البلد المصري الأصيل من مجاملة، ورد الجميل كلما أتيحت أمامه الفرصة، وليس أدل على ذلك من موقفه من «شاه» إيران واستضافته له في مصر، في الوقت الذي تنكر له كل رؤساء العالم الذين كانت تجمعه بهم صداقات مختلفة بينما لم يكن صديقاً شخصياً له.. وفي رد السادات على الذين انتقدوا قراره باستضافة شاه إيران قال: «إنني لا أنسى موقفه معي في حرب أكتوبر، ولم يكن من الممكن أن أتخلى عنه، وهو في هذه المحنة، فاتخذت هذا القرار الذي أيَّدني فيه شعبي بعد أن تفهم موقفي.

وعلى رغم مسئولياته الجسام .. كان أنور السادات إنساناً يعيش حياته ويمارس هواياته، كما كانت له مجموعة كبيرة من الفنانين يلتقي بهم في جلسات خاصة يستمع إلى آرائهم وإبداعاتهم.. وقد حظي الفنان «محمد نوح» بموقع خاص في قلب الرئيس السادات حتى إنه أمر بتخصيص شقة خاصة به بالقرب من منزل الرئيس، وسمح له بتسجيل بعض جلساته الخاصة، ولا يزال «محمد نوح» يحتفظ بالعديد من هذه التسجيلات المهمة التي يقول: إنها ثروة سيتركها لأولاده. كما كانت جلسات السادات الخاصة كثيراً

ما تضــم الفنانين «بليغ حمدي» و«ســيد المــلاح» و«فايز حلاوة» وغيرهم.

يومٌ في حَياتِه

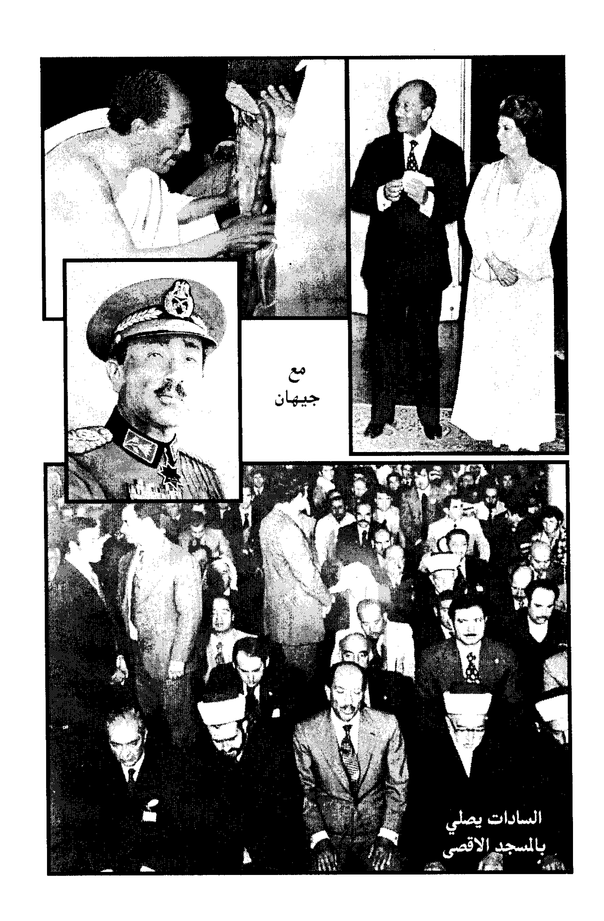
كثــيرة هي الصور والحكايات في حيــاة الرئيس الراحل والتي تضمها خزانتي ولا يمكن حصرها، وقد استوقفتني بعض هذه الصور النــادرة التي التقطتها كاميرا المصور فاروق إبراهيم وهو يصور يوماً في حياة الرئيس أنور الســادات.. ويومها قال له السادات «يا واد أنــا مش ممثل أنــا فلاح.. وعاوزك تصورني بصدق شــديد.. وأنا لما أوافق على حاجة تاخدها على طبيعتها،وهو ما حدث بالفعل.. فكانــت الحصيلة مجموعــة من الصور الفريدة للرئيس الســادات حيث تابعته الكاميرا منذ اســتيقاظه، وعنــد دخوله الحمام وهو يغســل أســنانه ويحلق ذقنه، ويمارس رياضة «اليوجا»، ويتناول إفطاره ويرتدي ملابسه.. عشرات وعشرات من الصور التي عندما شــاهدتها السيدة جيهان بعد نشرها في جريدة أخبار اليوم أعربت عن استيائها الشديد.. ورد عليها الرئيس السادات قائلاً:

« انتم ما بتفهموش حاجة.. هي دى الصحافة ».



▲ المؤلف يحاور جيهان السادات

▼ ويحاور جمال السادات



مع
جيهان

السادات يصلي
بالمسجد الاقصى

أم كلثوم

❑ سيرة الحب



- سـر إصرارها على النوم فى بدروم الفيلاً
- سقطت من فوق المسرح فكانت أزمـة صـورة
- مكالمة تليفونية كشفت أنها تعيش حالـة حـب
- تأخر بليغ حمدى عن موعد البروفة فأهدته سيارة
- حقيقة إشـاعة زواجهـا من مصطفى أمين

كثيرة هي السطور والصفحات التي كتبت عن كوكب الشرق «أم كلثوم» .. سيرتها ومسـيرتها؛ بل إن عشرات الكتاب والباحثين قدموا الكتب والرسائل العلمية التي تبرز عبقرية «أم كلثوم» وعطاءها الفني المتميز، لكننا هنا نحاول أن نستشـعر نبضاتها وخلجاتها، ونتعايـش معها في أفراحها وأتراحها في بعض الأوقات والمواقف، نستكشـف كوامن علاقاتها بالناس وعلاقات الناس بها .. نلمس قمة تواضعها في نفس الوقت الذي تهزنا فيه عظمة عنفوانها وهي تشـدو بأحلى الكلمات وأعذب الألحان .. باختصار إننا سنسافر في رحلـة غوص إلى أعماق أم كلثوم بالكاميرا والصورة وليس بالقلم والكلمات فقط .. وهنا لم أجد غواصاً يقودنا في هذه الرحلة أفضل من المصور الكبير «فاروق إبراهيم» الذي اقترب منها كثيرا ورافقها في العديد من رحلاتها .. وكان المصور الوحيد الذي تسـمح له أم كلثوم بالاقتراب منها بالكاميرا إلى أقرب مسافة .

دُوْنَ نظَّارَة

لم تكن أم كلثوم تسـمح لأحـد أن يصورها عن قرب وهي بدون نظارة إلا «فاروق إبراهيم» الذي التقط لها صورة نادرة وهي تؤدي بروفة إحدى أغنياتها مع فرقتها الموسيقية بقيادة «عبده صالح». إن أم كلثوم على رغم شخصيتها القوية التي تبدو بها أمام جمهورها إلا أنها إنسـانة شديدة البساطة وطيبة القلب..كانت خلال شهور الصيـف تترك حجرات «فيلتها» كلها وتنـام في البدروم بحثاً عن

نسمة هواء، فلم يكن في «الفيلاّ» أجهزة تكييف لأن هواء المكيفات يضر بصوتها وكانت كثيراً ما تخرج لتتمشّى حول «الفيلاّ»، ولكن بعد أن ازدحمت المنطقة التي تقع فيها «الفيلاّ» بالمباني والسيارات أصبحت تفضل أن تمارس رياضة المشي في «البلكونة».

إنسانة حَنُونة

ويدلل «فاروق إبراهيم» على إنسانية أم كلثوم بواقعة غريبة حدثت في المغرب عندما طلب الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية من أم كلثوم أن تغني في حفل خاص للأسرة المالكة .. وكانت التعليمات بأن يكون الحفل خاصاً بكل معنى الكلمة؛ أي بلا رجال إعلام ولا مصورين .. ولكن «فاروق إبراهيم» بحسّه الصحفي شعر بأن غناء أم كلثوم في هذا الحفل الملكي الخاص فرصة لا يمكن أن تمر دون أن يسجلها بكاميرته .. فحمل كاميرا صغيرة وأخفاها في ملابسه، وعند دخوله قاعة الحفل قال لرجال الأمن: أنا العقيد «فاروق إبراهيم» من الحراسات الخاصة وبدأت أم كلثوم الغناء، وفوجئ فاروق إبراهيم بأن الملك «الحسن الثاني» يمسك بالأوكورديون ويعزف بنفسه ضمن الفرقة الموسيقية .. كانت لقطة لا يمكن أن تمر دون تسجيل، ولكن ماذا يفعل .. وكيف يجرؤ على أن يصور جلالة الملك وهو في مقعد العازفين، وعندما انتهت أم كلثوم من الغناء أسرع الملك لتحيتها وقام بنفسه بمساعدتها في ارتداء «البالطو». وكان لا بد من تسجيل هذه اللقطات النادرة

وليكـــن ما يكون .. وبعد انصراف الملك وأم كلثوم للعشــاء فوجئ فاروق إبراهيم بوزير داخلية المغرب في ذلك الوقت « أوفقير» يعنفه ويأخــذ منــه الكاميرا .. ويقبض عليــه .. وعندما علمت أم كلثوم بذلك وكانت تستعد لاستئناف الحفل، ذهبت إلى الملك وقالت له بنــوع من التحدي: أنا لن أغني إلا إذا المصور بتاعي رجع حالا" .. وبالفعــل لم تغن أم كلثوم إلا بعد أن اطمأنت على عودة فاروق إبراهيم هكذا كانت أم كلثوم إنسانة عظيمة .. تهتم بمصورها ومن أجلــه تتحدى الملك وترفض الغناء على رغم أنها كانت تســتقبل وتعامل في الدول التي تزورها كالملوك والرؤساء .

الوِسَادةُ المَنْسيَّة

ويتذكــر فــاروق إبراهيم الحفاوة البالغة التي اســتقبلت بها أم كلثوم في تونس حيث تم اســتقبالها بشــكل رسمــي ورحبت بها الســيدة «وســيلة» حرم الرئيس «بورقيبة» ترحيباً عظيماً .. وأقيم حفلها الغنائي في إســتاد تونس الذي اكتــظ بالجماهير، وحيث شــدت بأغنية «الأطلال» على مدى ســاعتين ونصف وبشــكل لم يســبق له مثيل .. ولا ينســى فاروق إبراهيم موقفاً طريفاً حدث في تونس حيث نســيت مرافقتها الدائمة السيدة «إحسان» إحضار الوســادة الخاصة بها والتي تأخذهــا معها في كل بلد تذهب إليه لأنهــا لا تنام إلا عليهــا. ولتفادي هذا الموقف اضطروا إلى إحضار ٣٢ وسادة لتختار من بينها واحدة.

بِنْتُ نُكْتَة

ومثلما كانت أم كلثوم إنسانة عظيمة ورقيقة المشاعر كانت أيضا خفيفة الظل، وعلى حد تعبير فاروق إبراهيم – بنت نكتة – قال ذلـك وهو يتذكـر حفل التكريم الذي أقامته لها السـفارة المصرية بالمغـرب، وكان من بين الحاضرين أحد المصريين الذين اسـتقروا في المغرب منذ سـنوات طويلة الذي أخذ يلقي بنكات سـخيفة، وعلـى رغم تبرم الحاضرين فإنه لم يتوقف عن إلقاء النكات لفترة طويلـة حتى قاطعتـه أم كلثوم قائلة «إنت بقـى اللي جاي تنكد علينـا النهادرة».. وهنا ضجت قاعـة الحفل بالضحك .. ويتذكر واقعة أخرى عن خفة ظل أم كلثوم عندما كانت في زيارة للسودان وأهداها الرئيس إسماعيل الأزهري «نسناسـا» فأطلقت عليه اسـم فاروق إبراهيم، وعندما أبدى دهشته وسألها لماذا ؟ .. قالت «لأنه بيعمـل زيك بالضبط عمال يتنطـط هنا وهناك زي ما أنت بتتنطط وأنت بتصور».. وموقف آخر حدث في السـودان أيضا عندما حل يوم عيد ميلاد أم كلثوم ٣١ ديسـمبر ولم يجد ما يقدمه لها بهذه المناسبة فنزل إلى حديقة الفيلا التي كانت تقيم فيها واقتطف وردة جميلة وقدمها لها مهنئا فقالت له: «ياما جاب الغراب لأمه».

سُرعَةُ بديْهَة

وتتواصـل رحلة غوصنـا في أعماق أم كلثوم الـتي مثلما كانت

شديدة البساطة والطيبة .. كانت شديدة الذكاء أيضا .. ويقلب فاروق إبراهيم في أكوام الصور التي أمامه، وينتزع من بينها صورة نادرة عندما سقطت أم كلثوم على خشبة المسرح وهي تشدو في إحدى حفلاتها في العاصمة الفرنسية بأغنية «الأطلال»، وعندما وصلت إلى مقطع «هل رأى الحب سكارى مثلنا» جن جنون الجمهور وتهافت على المسرح، فسقطت أم كلثوم، وقام فاروق إبراهيم بتسجيل هذا الحدث الفريد بكاميرته وسرعان ما تداركت أم كلثوم الموقف ووقفت على الفور، وغنت بدون موسيقى وهي تشير بيدها نحو الجمهور «هل رأى الحب سكارى بيننا» مستبدلة كلمة «مثلنا» بكلمة « بيننا» وسرعان ما نسي الجمهور ما حدث، واندمج معها بعد أن استفزته بذكائها وسرعة بديهتها وهي تغير كلمة في هذا المقطع وترِدده عدة مرات وسط تصفيق الجمهور المتواصل .. وصمم فاروق إبراهيم على إرسال صور سقوط "أم كلثوم" على المسرح إلى جريدة "أخبار اليوم" دون أن يستأذن أم كلثوم وبالفعل بعث بها مع أحد الركاب المسافرين إلى القاهرة وطلب عدم كتابة اسمه على الصور عند نشرها .. وتم نشر الصور وغضبت أم كلثوم .. وعندما ذهب «فاروق إبراهيم» إليها في الفندق وجدها ثائرة، وعرضت عليه الصور المنشورة فقال لها: أكيد اللي التقط هذه الصور شخص يهودي .. فقالت له متسائلة: واللي نشر الصور يهودي أيضاً ؟ وهنا أسقط في يد «فاروق إبراهيم» ولم يكن أمامه إلا أن يعترف ويقول لها: أنا مصور وإن لم ألتقط هذه

الصـــور فإن «مصطفى بيه» – يقصد مصطفى أمين – ســيرفدني، ورجاهــا ألا تزعل منه، وهنا قالت له: الذي أغضبني أنك كذبت عليّ، والرجل الذي يكذب تكون فيه كل المعاني الســيئة .. وأنا لا أحب أن يكون بجواري رجل كذاب .. وعاهدها فاروق إبراهيم ألا يكذب عليها مرة أخرى أبداً.

قُبْلةٌ على يَدِهَا

صورة وحيـــدة جمعت بــين «أم كلثــوم»، والعندليب الأسمر «عبد الحليم حافظ»، وليست غرابة الصورة في قيام «عبد الحليم» بتقبيل يـــد «أم كلثوم»، ولكن في حكاية هــذه الصورة التي تعود بداية أحداثها إلى حفل نادى الضباط الذي حضره الرئيس «جمال عبد الناصر»، وأعضاء قيادة الثورة وغني فيه «محمد عبد الوهاب» ثم «أم كلثوم»، وتأخر غناء «عبد الحليم» إلى قرابة الثالثة صباحاً، وعندما صعد على المســرح قال: «أنا باغني بعد الست و لا أدري هــل هذا تكريم لي أو مقلــب»، وتضايقت «أم كلثوم»، وحصلت قطيعة تامــة، وعبثاً حاول «عبد الحليم» مصالحتها، إلى أن كان حفل زفاف عازف الجيتار الراحل «عمر خورشيد» في فندق هيلتون وكان الاثنان مدعوين فيه، وعندما شاهد «عبد الحليم» «أم كلثوم» اتجه إليها وأمســك بيدها وقبَّلها بحرارة، واســتأذنها أن تسمح لفاروق إبراهيم بالســفر معــه إلى تونس، فقالت لــه «اهه عندك خــده .. ما هو المصور الوحيد اللي بيــداري لك الباروكة».. فرد

«عبد الحليم»: لا والله يا ست الكل .. «دي مش باروكة .. حتى شــوفي» وهنا شدت شعره لتتأكد من حقيقة كلامه .. ولم يتركها «عبــد الحليم» إلا بعــد أن تأكد أن «أم كلثــوم» قد صفحت عنه وصالحته.

شائعاتُ زَوَاج

وأواصـــل رحلة غوصي في أعماق «أم كلثوم» الإنســـانة العظيمة والفنانة الكبيرة، في محاولة لاستكشاف علاقاتها بالناس، وعلاقة الناس بها، وأتوقف عند شـــائعة زواج أم كلثـــوم بالكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين»، تلك الشائعة التي حظيت باهتمام كبير، كما أثارت جدلاً اســـتمر فترة طويلة، وذلك عندما أكدت المؤرخة الموســـيقية «رتيبة الحفني» أن كوكب الشـــرق قد تزوجت بالفعل من الكاتب الكبير، وأن عقد زواجهما تم حفظه في مكتب الرئيس «عبــد الناصر»، كما أكدت «رتيبة الحفــني» أيضاً أن «أم كلثوم» ارتبطــت بزواج فعلي بالملحن «محمود الشـــريف»، وخرج العديد ممن اقتربوا من «أم كلثوم» يكذّبون هذه الشـــائعات، ويؤكدون أن علاقة «مصطفى أمين» و«محمود الشريف» بأم كلثوم لم تكن تتعدى حـــدود الصداقـــة الوطيدة، وأن «مصطفى أمـــين» تحديداً قد لعب دوراً كبـــيراً، في حيـــاة أم كلثوم الفنية، وأنـــه قدم لها أفكار عدد من أغانيها كما كتب لها قصة فيلم «فاطمة»، وكان أحد المقربين الذيـــن تعود إليهم للمشـــورة، كما أن «أم كلثوم» قد وقفت بشـــدة

بجانب «مصطفى أمين» في كثير من أزماته، وأثناء سنوات سجنه حاولت التوسط لدى القيادة السياسية للإفراج عنه.

حِكايةُ حُب

وأذكر أنني عندما أجريت حواراً تليفزيونياً مع الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» سألته عن أول لقاء له مع «أم كلثوم» فقال لي: أنا كنت أشتغل نائب رئيس تحرير روزاليوسف عام ١٩٣٣ ورحت لأم كلثوم أعمل معاها حديثا صحفيا وكانت وقتها ملء السمع والبصر وقدمت نفسي لها باسم «مصطفى محمد»، وطلبت مني أن أذكر لها أسئلة الحوار، وكان سؤالي الأول هو: إيه رأيك في الحب؟ وكم مرة أحببت؟ وهنا وقفت «أم كلثوم» غاضبة وقالت: انتهت المقابلة ما فيش حديث .. فقلت لها ما فيش حديث يعني حايرفدوني وأنا مسؤول عن أسرة كبيرة، وكده حاتشرد. وصعبت عليها وردت متأثرة: ما فيش مانع بشرط بلاش الأسئلة دي وبالصدفة رن جرس التليفون فحملته وسارت به عدت خطوات بعيداً عني، وأنا حسيت إنها بتكلم راجل، وعندما انتهت المكالمة وعادت، قلت لها: خلاص أنا عرفت جواب سؤالي اللي أغضبك، وعرفت إنك أنت بتحبي، فاحمر وجهها، وسألتني: إيه اللي إنت عرفته بالضبط ..فقلت لها: كل شيء ظهر على وشك. فسألتني أنت حاتكتب الكلام ده؟ قلت لها: طبعاً قالت: لأ أرجوك توعدني إنك ما تكتبش ولا كلمة من الكلام ده ووعدتها

بذلك ولم أكتب أي شيء عن هذا الموقف فاتصلت بي تشكرني ومن هنا بدأت الصداقة تتوطد بيننا. وكثيراً ما حدثني الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» عن «أم كلثوم» التي صادقها وعشق فنها الجميل وكان أحد المقربين جداً إليها.. فيقول: إن عبقرية أم كلثوم تكمن في كونها فلاحة بسيطة استطاعت أن تعلم نفسها وترتقي بفنها، وعلى رغم ما وصلت إليه من شهرة ومجد فكثيراً ما رأيتها في حالة قلق شديد قبل صعودها على المسرح فتظل تقرأ القرآن وتدعو أن يوفقها الله، وتسأل من حولها والمقربين منها عن رأيهم فيما ستغنيه.

لا بُخْل، ولا جُحُود

وضمن رحلة غوصي التي رحت أستكشف فيها كل شيء عن أم كلثوم التقيت بواحدة من صديقات كوكب الشرق اللائي اقتربن منها إلى أقصى حد، وهي السيدة «عبدية عبد الله» وسألتها سؤالاً مباشراً: هل كانت أم كلثوم بخيلة كما أشيع عنها؟ قالت: بالعكس .. كانت «ثومة» من أكرم الناس خاصة تجاه أهلها وتجاه الفقراء، وأذكر أنني قلت لها عندما شاهدتها تقوم بعمل خيري كبير: «ليه يا ست ما بتعلنيش عن الحاجات الخيرية الكثيرة اللي بتعمليها عشان ده يرد على الناس اللي بتتهمك بالبخل».. ضحكت ثومة وقالت: «أنا ما يهمنيش الناس .. وبعدين إشاعة إني بخيلة بتحميني من المتطفلين والطامعين والمستغلين اللي

بينظروا للفنان نظرة فيها حقد وطمع وابتزاز.

وتواصل السيدة «عبدية» وتقول: في رمضان والمواسم الدينية كانت «أم كلثوم» تحرص على أن تجهز مائدة تكفي لأربعين شخصاً من أفضل المأكولات، وكان ده قبل ما تنتشر موضة موائد الرحمن. أما الإعلامية «مشيرة كامل» ابنة المؤرخ الموسيقي الكبير «محمود كامل» الذي ارتبط بصداقة وطيدة مع أم كلثوم، فقد سألتها عما أثير عن جحود أم كلثوم للفنان «محمد القصبجي» حسبما ذكرت د.«رتيبة الحفني» في إحدى ندواتها، وتخليها عنه كملحن والاكتفاء بدوره كعازف عود في فرقتها، فأكدت أن للموسيقار «محمد القصبجي» دوراً مهماً، ومحورياً في مسيرة أم كلثوم، فهو الذي قدم لها عشرات الألحان التي قادتها إلى سلم النجومية والتألق، ولعلنا نذكر لحنه الرائع لها «رق الحبيب»، وتقول «مشيرة كامل»: إنها كثيراً ما كانت تشاهد أم كلثوم والقصبجي أثناء زيارتهما لمنزل والدها، وكانت ترصد الاحترام الشديد والتقدير الذي تكنه أم كلثوم للقصبجي.

هديّةٌ لـ«بليغ حمدى»

ويحكي لي الإعلامي الكبير «وجدي الحكيم» واقعة تؤكد حرص وتقدير أم كلثوم للمتعاملين معها، ويذكر أنها كانت شديدة التدقيق في مواعيد البروفات في الوقت الذي كان فيه الموسيقار الراحل «بليغ حمدي» ينتمي لفريق غير المنضبطين في مواعيدهم

مع كوكب الشرق، وكانت تغضب غضباً شديدا منهم، وفي إحدى البروفــات وصل «بليغ» متأخراً، فألغت «أم كلثوم» البروفة، فراح يســترضيها قائلاً إن التاكســي الذي اســتقله هو سبب التأخير، واكتشفت «أم كلثوم» يومها أن «بليغ» لا يملك سيارة، فدلته على معــرض ســيارات معين وقالت له اذهــب إلى هذا المعرض واختر أية سيارة هدية مني. وبالفعل ذهب«بليغ» للمعرض واختار أصغر سيارة فيه، وسألته أم كلثوم: لماذا لم تختر سيارة أكبر؟ فقال لها: أنا لا أحب السيارات الكبيرة.

لقَاءُ السَّحَاب

وظل الســؤال عن تأخر لقاء الســحاب بــين العملاقين «ثومة» و«عبد الوهاب» طوال الســنوات التي تألق فيها كل منهما في سماء الفــن، فارضاً نفســه. ويجيب مصطفى أمين عن هذا الســؤال في حديثــي التليفزيوني والــذي أجريته معه قبل شــهور من رحيله حيــث قال لي: لقد حاولت من خــلال علاقتي المتميزة بالقطبين أن أحقــق هذا اللقاء، ونجحت في أوائــل الأربعينات أن أقنعهما بالاشــتراك معــا في فيلم عن «ألمــظ وعبده الحامــولى»، فوافقا وتم الاتفاق على كل التفاصيل لكن أم كلثوم اشترطت أن يقوم بتلحين أغانيها في الفيلم «زكريا أحمد»، و«القصبجي»، و«السنباطي»، في الوقت الذي تمسَّــك «عبد الوهاب» بتلحين جميع أغاني الفيلم. وتمضي السنوات ويتحقق الحلم: لقاء السحاب بأمر رئاسي عندما

حضر الرئيس «عبد الناصر» أحد احتفالات ٢٣ يوليو، الذي كان يشـارك فيه «محمد عبد الوهاب»، و«أم كلثوم»، وفي الاسـتراحة أبـدى رغبته لهما بأن تجمعهما أغنية مشـتركة، ولم يكن أمامها سـوى الاسـتجابة فكانت رائعة «أنت عمري»الـتي تلتها روائع أثرت ساحة الطرب العربي.

مع عبد النَّاصِر

ارتبطـت أم كلثـوم بعلاقـات حميمـة مع رجال ثـورة يوليو وتشـكلت بينها وبينهم علاقة إعجـاب مبكرة بدأت منذ أن كان «جمـال عبد الناصـر» محاصراً في الفالوجا عـام ١٩٤٨ في الوقت الذي كان يحرص فيه مع زملائه الضباط على الاسـتماع لحفلات «أم كلثوم» مسـاء الخميس من أول كل شـهر. وهناك قصة شهيرة تقـول: إن «عبد الناصر» أرسـل من جبهة القتال رسـالة باسمه ومجموعة الضباط زملائه يطلب من «أم كلثوم» أن تغني لهم وهم في الحصار أغنية «غلبت أصالح في روحي» ولبت «أم كلثوم» طلبهم، وبعـد أن نجحت الثورة حرص الضباط الأحرار على أن يكون لأم كلثوم مكانة مرموقة فارتبطت بصداقات شـخصية بالكثيرين منهم وبعائلاتهم، وكثيراً ما غنت للثورة وقائدها. ويذكر أنه عندما منع أحد الضباط المسئول عن الإذاعة أغاني أم كلثوم بحجة أنها تمثل العهد البائد غضب الرئيس «عبد الناصر» غضباً شـديداً وقال: إن الهرم أيضاً من العهد البائد فاهدموه.

وفي حديث لي مع الكاتب الراحل «محمد تبارك» ذكر تفاصيل كثـيرة عن حزن «أم كلثـوم» عند وفاة «عبـد الناصر» حيث كان «تبارك» يرافقها في موسـكو، وحاولت بكل الوسـائل أن تعود إلى مصر فور سماعها الخبر، لكن التعليمات في ذلك الوقت في موسـكو كانـت تمنع أي شـخص مـن المغادرة في غير اليـوم المحدد له، فأصـرت «أم كلثـوم» على إقامة صـلاة الغائب على روح «جمال عبد الناصر» ،وأصابها حزن عميق وصل إلى درجة الاكتئاب.


هل تزوجت
محمود الشريف؟



عندما سقطت من فوق المسرح



مع ثوار يوليو

متولّى الشَّعراوى

❑ الشَّيْخُ خَفيْفُ الظل



- سر الحديث الصحفى الذى أقام الدنيا، ولم يُقعدْها
- شفافية الشيخ الشعراوى مكنته من اكتشـاف السؤال قبل طرحه
- حكاية برطمان «الفسـيخ» الذى كان يحمله معه فى كل عزومة
- فى الثالثـة الثانوية أنـذره والده بإتمام زواجه خلال أسبوعين
- تزوجت باختيار أبى.. وتركت لأولادى حرية الاختيار

عندمـا بدأت في إعداد هذا الفصل لم تكـن الصور وحدها هي مرجعي بل كان الصوت أيضاً أحد الوسـائل التي اسـتدعيت بها ذكريات عزيزة مع فضيلة الإمام الشيخ «محمد متولي الشعراوي»، الـذي أتيح لـي أن أصحبه في الكثير مـن الرحلات، وأن أحظى بأكثر من عشـرة أحاديث صحفية نُشـرت في العديد من الصحف العربية من بينها مجلة «أكتوبر»، وجريدتي «السياسة»، و«الهدف» بالكويت، وجريدة «الأحرار» وغيرها.. والتي تم نشـرها في كتاب أصدرته منذ سنوات بعنوان رحلة مع الشيخ الشعرواي.

وأعترف أن الراحل الكبير قد شملني بكرم شـديد، وتقبَّل منِّي أسـئلة يمكن وصفها بالمشاغبة؛ والذين اقتربوا من شيخنا الجليل يعلمـون عنه خصالاً وخصائص تميـز بها وأصبحت سمات بارزة في شـخصيته.. فكان رحمه الله بالإضافة إلى موهبته في التفسـير، وغـزارة العلوم الدينية التي تخصص فيهـا خفيفَ الظلِّ إلى أبعد الحـدود، وكثـيراً ما كان يمـرر العديد من فتاواه، ودروسـه من خلال تبسـيط الكلمـات والمعاني، إضافة إلى مفرداته السـاخرة، وقفشاته المحببة.

فسيخ الشيخ

كان الشـيخ «الشـعراوي» بالغ الكرم إذا ما دخلت منزله قدَّم لك بالإضافة إلى الحفاوة وحسـن الاستقبال كل ما لديه من خير. فإذا حاولت الاعتذار قال ضاحكاً عبارته الشهيرة «من دخل بيتنا

فهــو آكل»؛ ومع تنــوع موائده العامرة فقــد كان كثيراً ما يحضر «برطمان زجاجي» بداخله قطع «فسيخ» مغموسة في الزيت، ويظل يضغط عليك أن تأكل من هذا الصنف أو ذاك بل كثيراً ما يمد يده إليك بقطعة لحم أو نوع من قطائف المائدة، لكن الشــيء العجيب أن الشــيخ كان يستأثر لنفســه بقطع «الفسيخ» التي كثيراً ما كان يحملها معه في العديد من الرحلات التي أُتيح لي أن أصحبه فيها، وأذكر مرة أن دعانا الصديق د.«حســن راتب» إلى قرية ســياحية يملكها في العريش، وقد كان الشيخ يحتفظ لصديقنا «حسن راتب» بمشــاعر حب خاصة، وهكذا كان المُضيف، وبعد أن افتتح الشيخ «الشعراوي» المسجد الذي أُقيم في القرية ذهبنا لتناول طعام الغداء، ووضع أمامنا د.«راتب» مائدة عامرة وسخية، فأشار إليّ الشيخ أن أجلس بجانبه ثم أخرج «برطمان الفســيخ» إيّاه، وقال لي..«طبعاً أنت مستغرب أن الأكل ده كله أمامنا وأنا أفضل عليه «الفسيخ»..

وللحق فقد كانت هذه الدهشــة تلح عليّ، وكان هذا التساؤل يكاد يصرخ داخلي .. ضحكت قائلاً: «فعلاً يا مولانا.. فسيخ إيه وسط وليمة د.«حســن راتب» العامرة.. رد الشيخ: «طب خد حتة كلها وأنت ســاكت، ففعلت ذلك صاغراً، لكني أقســم أنني ما تذوقت طعاماً في حياتي أشهى من «فسيخ الشيخ» بعد أن كنت من أعداء الفسيخ، والزاهدين في أكله.

واســتمرت رحلاتي مع الشــيخ، وفي «الغردقــة» كانت دعوة أخــرى كريمة من الصديق العزيز الفريق «يوســف عفيفي» محافظ

البحر الأحمر حينئذ، وفي المســاء فعل ما فعله د. «حســن راتب»، وامتلأت المائدة بما لذَّ وطاب، لكن الشيخ نظر إليّ، وقال: «إيه يا ســي مصطفى.. تلاقي نفســك في حتة فســيخ.. والله بعينك»، وطلــب مني أن أحكي لضيفنا ما حــدث بيننا في العريش.. وذاق الفريق «يوســف عفيفي» «فسيخ الشعراوي»، وظل مثلي يطلبه في كل وجبة، ومن مظاهر كرم الإمام الجليل أنه كان يأتي لنا ببعض الهدايا الشــخصية التي كانت تُقدَّم إليه من أحبائه مثل مســبحة قيمة أو ساعة ثمينة أو غيرها.. لم يكن يحتفظ بها لنفسه بل كان يسعد بتقديمها لأصدقائه.

شَفَافِيةُ الشَّيْخ

لم أكن أنســى أثناء مرافقتي للإمام الجليل أنني صحفي، وأن عليَّ أن أســتفيد مــن فرصة وجودي بجانبه. ومشــاعره الكريمة تجاهي فأقدم لقرائي من وقت إلى آخر وجبة شهية من الأحاديث الصحفية التي أجريتها معه، لكن الأمر الغريب الذي لم يصادفني طوال ســنوات عملي الصحفي الطويلة، والتي تركَّزت معظمها في إجراء الحوارات مع العديد من الشــخصيات، الغريب أنني كنت قبل أن أطرح السؤال على الشيخ «الشعراوي»، وبمجرد البدء بأول كلمــة فيه.. أفاجأ أنه يــادر بالإجابة. فإذا أردت أن أعَقِّب على الإجابة بسؤال جديد أراه قد بدأ في الإجابة على السؤال الجديد.. أقسم أن هذا الأمر ليس فيه أية مبالغة أو تحريف.

عندما خَاصَمَنى الشَّيْخ

ذات يـوم فوجئت بمكالمة من الكاتب الكبـير «صلاح منتصر» رئيـس تحريـر مجلة «أكتوبـر» في ذاك الوقت. وقـد كان صديقاً للشيخ «الشـعراوي»، وصديقا عزيزاً جداً لي.. فاجأني متسائلاً.. يـا محمد أنت مش صديق الشـيخ «الشـعراوي؟».. قلت أيوه.. خير! قال: طب ما تعمل معاه حديث .. حديث عن إيه؟.. ما هي الجرايـد والمجـلات مليانة كل يوم بأحاديثه وآرائه - شـجعني الأسـتاذ «صلاح منتصـر» وقال: بس أنا عـارف إنك حتطلع منه كلام كويس.. يعني مثلاً رأيه في شركات توظيف الأموال. وكانت وقتها موضوع السـاعة مـع بداية الانهيـار.. وبالفعل التقيت مع الشـيخ بعـد دعوة كريمة مـن صديقي رجل الأعمـال «ملاك عبد الرحمن». وفي منزله المطل على حديقة الأسماك. وبعد وجبة غداء سخية. قلت للشيخ: إيه رأيك يا مولانا نقعد في التراس نتفرج على الحديقة ونهضم بحديث صحفي ننشره في مجلة «أكتوبر»؟. ضحك الشيخ. وقال: تلاقي سي «صلاح منتصر» هو اللي مسلطك.. قلت: بالضبط .. قال: ياله يا سـيدي هـو أنا أدك أنت وهو.. وانصرفنا إلى «التراس» وسـط احتجاج الحضور الذين أرادوا عدم اسـتئثاري بالشيخ وحديثه الممتع. وياله من حديث صحفي ساخن ضم العديد من المحطات الشـائكة. أجاب خلاله الشيخ على أسئلتي بجرأة وصراحة. وبخبرة الصحفي المحنَّك راح الأسـتاذ «صلاح منتصر»

ينشر العناوين الساخنة على غلاف المجلة، وعدد كبير من صفحات الداخــل، لكن حدث ما لم أكن أتوقعه.. حيث قامت الدنيا، ولم تقعد فانبرى عدد من الكتاب يفندون آراء الشيخ خاصة أن بعضهم كان يختلــف معه في الرأي، ويــرى أن اقترابه من بعض أصحاب شركات توظيف الأموال قد دفع الناس للثقة بهم مما أدى إلى ضياع أموالهم فيما بعد، وكانت سلسلة مقالات للكاتب الصحفي «محمد جــلال» رئيس تحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» وقتئذ بعنوان «لا يا شــيخ شعراوي» أتبعها بحوار مطول مع الشيخ حول الآراء التي أدلى بهــا لي ثم جمع المقالات، والحــوارات في كتاب حمل نفس العنوان «لا يا شيخ شعراوي».

وبعد عدة أســابيع مــن هذه الضجــة التقيت بفضيلــة الإمام «الشعراوي» في الغردقة، وعلى مائدة غداء الفريق «يوسف عفيفي» رحت أداعبه كالعادة، لكنه قابلها بتكشيرة لم أعتدها منه وقال: اسمع يا ســي مصطفى أنا زعلان منك..شــوفت اللي انت عملته بحديــث «أكتوبر».. قلت لكن يا مولانا.. أنت قلت كل حرف في الحديث وأنا لم أغير كلمة واحدة.. بل بالعكس أنا تجاهلت بعض ردودك التي أحسســت أنها ستثير مزيداً من الغبار.. رد في حسم أنا مخاصمك وخلاص .. ولم أنطق بكلمة واحدة طوال الرحلة بل تعمَّــدت أن أختفي على رغم إلحاح الفريق "يوســف عفيفي" أن أتواجد في جلساته مع الشيخ. ومرَّت ثلاثة أشهر كاملة لم يحدث فيها أي اتصالات من الجانبين. واستسلمنا لحالة الخصام المشترك

حتى فاجأني الأستاذ «صلاح منتصر» بمكالمة أبلغني فيها أن الإذاعة ستسجل سهرة في منزل الشيخ «الشعراوي» وأنه اختارني بالإضافة إليه ود.«حسن الحفناوي» كضيوف في هذا اللقاء.. أسقط في يدي، وأبلغته بأن الشيخ «مخاصمني» فأكد لي أنه هو الذي اختار ضيوف البرنامج، وأنني من بينهم والواقع أنني فرحت بهذا الترشيح وذهبت مع «صلاح منتصر»، وعندما رآني الشيخ بصحبته احتضنني ووجه كلامه للأستاذ «صلاح» قائلاً: بقى يرضيك يا سي «صلاح» إن «محمد مصطفى» ينتهز فرصة إني واكل أكلة شديدة وياخد مني حديث يقلب الدنيا عليَّ.. ثم أردف تلاقيك انت اللي مسلطه يا سي صلاح فرد ضاحكاً بصراحة أيوه يا مولانا.. وفي سماحة الأب ربت الشيخ على كتفي ضاحكاً.. مش قلتلك إني مش أدك أنت وسي صلاح.. ياللا نتعشى الأول قبل التسجيل.

زَواجٌ تأبيدى

في أحد اللقاءات، وفي لحظة خاصة سألت الشيخ «الشعراوي» عن الظروف التي تزوّج فيها.. سرح قليلاً وقال: عندما زرت والدي في مدينة الزقازيق وقتها كنت في السنة الثالثة من المرحلة الثانوية، ولم يكن والدي راضياً عن بقائي بدون زواج وأبلغني بلهجة حازمة: «قدامك أسبوعين فقط تختار فيها العروسة اللى عايز تتجوزها».

في البداية عارضت فكرة الزواج لكن والدي كان حازماً.. وقد كان.. تزوجت.. والحقيقة لم أختر زوجتي بنفسي.. فقد اختارها

والـدي، ووافقته على اختياره.. وواصل الشـيخ قائلاً: إن الزواج اقتران تكاثر لبقاء النوع، والشـرع حدد أساساً للاختيار سواء من ناحية الزوج للزوجة أم العكس، وجعل الأسـاس يقوم على منهج الله، وأن يدخل الإنسان على الزواج دخولاً تأبيدياً.

«آدَمُ، وحَوَّاءُ».. والشَّيْطَان

عدت لأسأل الشيخ.. هل اخترت لأولادك زوجاتهم؟

في الحقيقـة لقد تركت لهم القرار النهائي في اختيار زوجاتهم، لقد اقتصر دوري على التوعية، والتنبيه على القيم، والمثل العليا، وتذكيرهم بقول الرسول الكريم «إن جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فزوّجوه».

قلت للشـيخ ونحن قريبون من محطة الزواج والرجل والمرأة.. هنـاك من يقول أن «حواء» هي التي تسـببت في إخراج «آدم» من الجنـة. رد الشـيخ: هناك خطأ شـائع عندما يعتقـد البعض أن الشـيطان قد أغوى «حواء» وحدها، وبالتالـي فقد غوت «حواء» «آدم» فأكل من الشـجرة المحرمة.. الواقع أن الشـيطان قد أغوى الاثنين معاً آدم وحواء.. إن الشـيطان سعى بوسوسته حتى يعصي آدم وحـواء ربهمـا.. فينالهما عقابه كما نالـه العقاب بالطرد من رحمـة الله.. ويواصل الشـيخ قائلاً: إن الجنة الـتي عاش فيها «آدم» لم تكن جنة الخلد، إن العيش في جنة الخلد لا يأتي إلا بعد انتهاء الحياة الدنيا.

أقوالٌ مأثورة

وألتقط من أرشـيف حواراتي مع فضيلة الإمام الراحل الشـيخ «محمد متولي الشـعراوي» بعض السـطور الـتي أجد أنها جديرة بإعادة طرحها:

– إن ما يفسد العالم أنك تأتي فيما ترك الله فيه الاجتهاد للعقل وتقول: إن اجتهادي أنا هو الصحيح، واجتهاد الآخرين خطأ.

– المـرأة تحكمها العواطف هذه العواطف جزء من تكوينها، ولا يمكن أن تكون امرأة بدون هذه العواطف.

– الشباب مظلوم الشباب لم يُرَبَّ التربية السليمة، والأسرة لم تقم بدورها المطلوب في تربية هذا الشباب، ولذلك بدأنا نسمع عن ظاهرة المخدرات والإدمان.

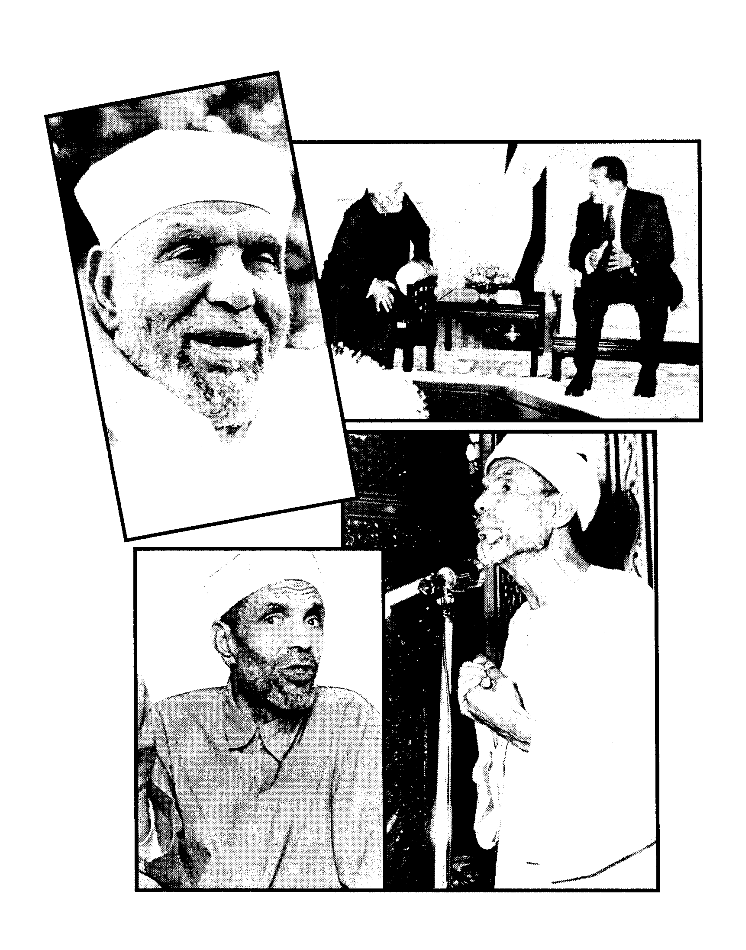
– معنى الحرية على الإطلاق ليس له وجود في الإسلام.

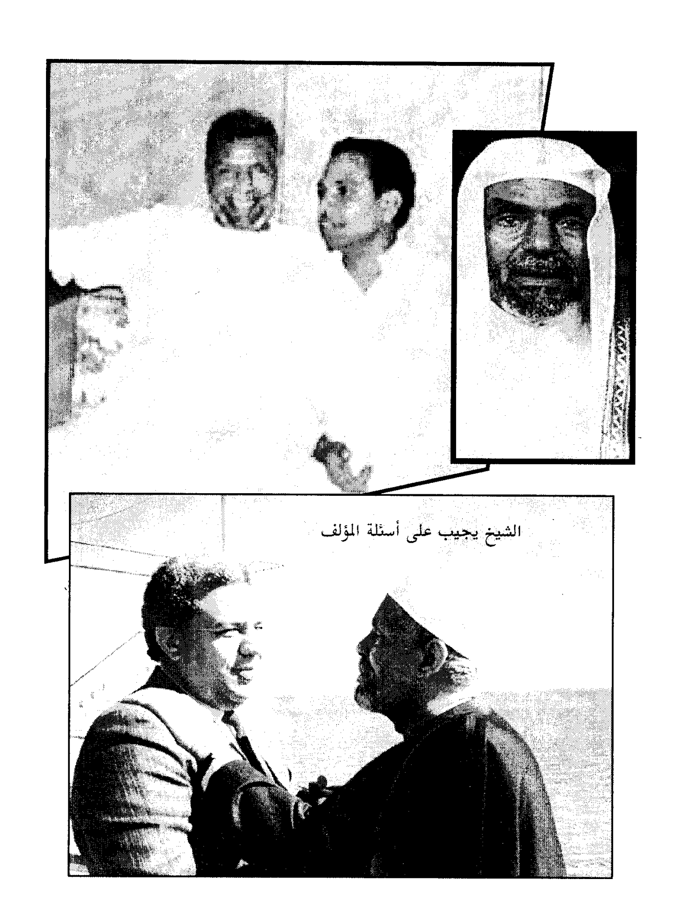
– الإسـلام لا يعارض أي تقدم، أو ارتقاء مادي مادام محروساً بالقيم.

– حب المال يجعل الإنسـان في كثير من الأحيان يبحث عنه بأية وسيلة ولا يفرق بين الحلال والحرام.

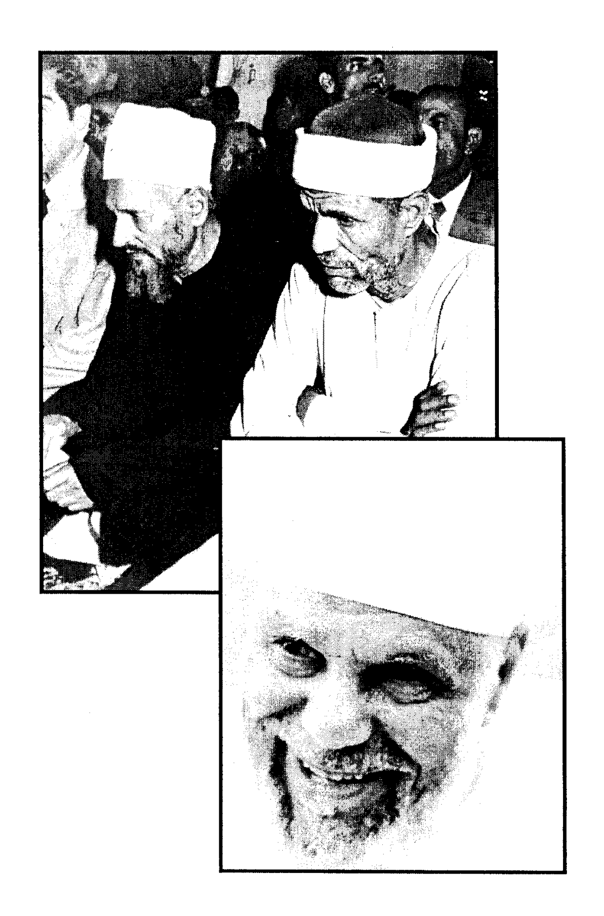
– ليس من المعقول أن يحكم الذين لم تنضج أفكارهم بعد .. ولم يؤهلوا لممارسة هذه المسئوليات.

– ضمير الإنسـان عادة لا يسـتيقظ إلا بعـد أن يكون قد صنع الشر. والدين يبني حاجزاً بين الإنسان وبين الشر.





الشيخ يجيب على أسئلة المؤلف



مُحمَّد نَجيب

❑ رحلة المجد ، والشقاء



- بعد ٥٤ سـنة تجدَّد السؤال: هل كان «نجيب» قائد الثورة أو واجهة لها؟
- عبـد الناصر قال لـ«نجيب»: إنت عارف احنا ازاى جبناك .. ثم بدأت رحلة النهاية
- رفض خطة لتهريبه، فأمضى ٣٠ عاماً في المُعتقل
- ظـلَّ حتَّى مَمَاته يُقـارن بين رحيل الملـك مُكرَّماً، وإقصائه عن رئاسة الجمهورية مُهاناً
- لماذا استمر اعتقال نجيب بعد رحيل ناصر والسادات

كثـيرة هي الصور، والحكايات في حياة أول رئيس لمصر بعد قيام الثـورة فاللواء «محمد نجيب» الذي اختاره الثوّار رمزاً لحركتهم أو لانقلابهـم – كما يحلو للبعض أن يطلق عليهـا – هذا الرجل مات مرتين؛ الأولى عندما أبلغه «عبد الحكيم عامر» في ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ قـرار مجلس قيادة الثورة بإعفائه من منصب رئيس الجمهورية، وهو القرار الذي مهدت له أزمة مارس التي اشـتعلت بينه، وبين «جمال عبد الناصر»، ومجموعة الضباط الشبان.

ومع قـرار الإعفاء تغيّرت كل الصور من حول «نجيب»، وتوارت صورة الرئيس «نجيب» بكل ما يمثله تاريخه العسكري منذ أن تخرج من الكلية الحربية عام ١٩١٨ وكان أول دفعته مروراً بمواقع عسكرية رفيعـة تقلدها، وصولاً لفوزه في انتخابـات نادي الضباط التي كانت الرصاصـة الأولى في معركة الثورة، وخلالها اسـتثمر الضباط الأحرار شـعبية اللواء «محمد نجيب» في اختبار قوتهـم، كما كانت معركة انتخابات نادي الضباط، ونتائجها الباهرة فرصة هيأها القدر لإعداد «محمد نجيب» للدور الذي قُدِّر له القيام به بعد أقل من سبعة شهور من وقوعها، وهو ما يشهد به المؤرخ العسكري، وأحد الضباط الأحرار جمال حمّاد.

محيط العذاب

صور وحكايات سجلها التاريخ بين مجموعة الوقائع التي سبقت الثورة والتي تلتها، وتلك التي أعقبت قرار إقصائه من رئاسة الجمهورية.

وقبل أن نغلق صفحات العزة والمجد، الشهرة والنفوذ، لندخل إلى سنوات العذاب، والضنى في عمر «محمد نجيب» نتوقف قليلاً عند سؤال طرحه«نجيب» في مذكراته حيث يقول: «إذا كنت قد أخطأت فإن خطأي لم يكن سوى قطرة ماء إذا ما قورنت بمحيط العذاب الذي غرقت فيه منذ اليوم الذي خرجتُ فيه من قصر «عابدين»، ولمدة ثلاثين عاماً في معتقلي بـ فيلاً «زينب الوكيل» بالمرج، لا أعرف ماذا فعلت حتى يحدث لي كل هذا؟

وهنا نتوقف قليلاً عند مجموعة من التساؤلات يطرحها الباحث د.«ماجد فرج» رئيس تحرير مجلة «مصر المحروسة» فيقول: هل كان «نجيب» قائداً لمجموعة الضباط الأحرار بالفعل أو كان واجهة تستّروا وراءها استغلالاً لشعبيته العالية ضمن صفوف القوات المسلحة؟ هل آمن بقضية «الأحرار» فخرج معهم ليقود عملاً رأى فيه مصلحة بلاده؟ لماذا انقلب «محمد نجيب» على الملك. وهو الذي أقسم له يمين الولاء والطاعة .. ألم يكن هو القائل عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢: .«حيث إني لم أستطع حماية مليكي وقت الخطر فإني أخجل من ارتداء بذلتي العسكرية والسير بها بين المواطنين لذا أقدم استقالتي.؟!

أسئلة عديدة المعارضون، والمؤيدون على السواء، وعلى رغم مرور كل هذه السنوات، لكن تلك الأسئلة لا تزال مطروحة بقوة كلما أعيد فتح ملفات حقيقة الصراع بين «محمد نجيب». و«الضباط الأحرار»، هذا الصراع الذي بدأ يظهر على السطح في نوفمبر عام ١٩٥٣ عندما قام

«نجيب» برحلة إلى بلاد النوبة، واستُقبل استقبالاً حاراً نقلته وسائل الإعلام باهتمام كبير. وهو الأمر الذي استفز «صلاح سالم» وزير الإعلام، والثقافة، والذي كان مسئولاً أمام مجلس الثورة عن برنامج الدعاية للثورة. واستطاع «صلاح سالم» أن يُؤَلِّب مجلس قيادة الثورة على «نجيب» حتى أصبح العداء علنياً لدرجة أن «صلاح وجمال سالم» تهجَّما على «نجيب» في الاجتماع الذي عُقد يوم الأحد ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٣، وكانت الجلسة شبه محاكمة لـ «نجيب»، وطلب منه «عبد الناصر» التخلصَ من بطانته التي تسيء إلى الثورة. ولكنَّ «نجيب» رفض، إلا أن «عبد الناصر» تحدَّث بحدة، ولهجة تهديد، وقال له: أنت عارف إزاي جبناك .. واحنا نيتنا صافية لأننا الذين فتحنا معك الموضوع. ولكنك تصر على أن تمضي في طريقك الانعزالي، ولكن «نجيب» أصر على موقفه، وانتهى الاجتماع دون التوصل إلى حل.

الإستقالة

بعد ذلك تم تهميش «نجيب». وأصبح كل أعضاء مجلس قيادة الثورة تقريباً يعاملونه معاملة لا تليق بسنه، ولا بمركزه حتى إن المجلس كان يجتمع دون علمه اما في مقر قيادة الثورة بالجزيرة واما فى منزل أحد الأعضاء. وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٤ حيث حضر «نجيب» إلى مقر القيادة لحضور الاجتماع الدوري لمجلس الثورة. وكان يُعقد كل يوم أحد أسبوعياً. وظل ينتظر في مكتبه. وكان باقي الأعضاء مجتمعين في مكتب «عبد الناصر» فلما أرسل «نجيب» أحد

رجاله يسألهم لماذا تأخَّروا في الحضور فما كان من «جمال سالم» إلا أن ثار على رجل «نجيب» وأخذ يسبه بأبشع الألفاظ. فعلم «نجيب» بالأمر، وغادر مقر القيادة، واحترم نفسه وقدم بعد ذلك إسقالته.

الثَّوْرةُ على الثَّوْرة

توالــت الأحداث من جانب ضباط الفرســان الذين أرغموا مجلس قيادة الثورة على عودة «نجيب» بكل سلطاته، وبالفعل عاد «نجيب» ونادى بعودة الجيش للثكنات، وإقامة حياة نيابية، واستغل الموقف، واتصل بعدد من القوى السياسية، ومن هنا تعبَّأت نفوس أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم «عبد الناصر» ضد «نجيب»؛ بل زاد غضبهم بعــد محاولاته تصفيتهم، وعودتهم إلى الثكنات، وهنا شــعر الضباط الأحرار أنه يريد الســيطرة على الجيــش، وأصبح من المؤكد أن على «نجيب» أو «ناصر» أن يُصفِّي أحدهما الآخر، وبدأ «عبد الناصر» يطبق فكرة «الثورة على الثورة»، وأنه على الثورة أن تستأصل خصومها بعد أن كشف كل وجهه الحقيقي.

وَسَاطة الملك سُعُود

في ذلك الوقت جاء الملك «سعود» عاهل المملكة العربية السعودية في زيارة إلى مصر. وكانت الأزمة في عنفوانها وشكا «نجيب» إليه من سوء معاملة أعضاء مجلس الثورة له. وتوسَّط الملك بين «نجيب» و«ناصر»، ولكن الأمور تطورت .. وفي يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ لجأ «نجيب» إلى الملك

«سعود» لحمايته، وطلب أن يسافر معه إلى السعودية عند مغادرته مصر صبـاح يوم ٢٩ من مارس بعدما علم أن هناك ثورة شـديدة عليه ونية لقتله، وعقد الملك «سعود» اجتماعاً حضره «نجيب» و«ناصر»، و«عامر»، وناقشوا الخلاف. وبناء على رجاء الملك «سعود» وافق «عبد الناصر» أن يسـتمر "نجيب" في منصب رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس قيادة الثورة، وفي ١٧ إبريل ١٩٥٤ تولى «عبد الناصر» رئاسة الوزارة، وتقلص نفوذ «نجيب»، كما تولى «عبد الحكيم عامر» وزارة الحربية.

حادِثُ المَنْشِيَّة

بعد أن أمسك «ناصر»، و«عامر» بزمام الأمور. وتم التخلص من كل المقربين لـ «نجيب» أصبح «نجيب» مكتوف اليدين، واستسـلم للأمر الواقع، واكتفى بمنصب رئيس الجمهورية، وظل الهدوء يسود العلاقة التي تربط «نجيب» بمجلس الثورة حتى توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤.. وفي ٢٦ أكتوبر وأثناء إلقاء «عبد الناصر» لخطاب بميدان المنشـية بالإسـكندرية سمع دوي تسع رصاصات موجهة إلى «ناصر»، ولكنه نجا منها. وتبين بعد الحادث أن الجاني من الإخوان المسـلمين. وذُكر في التحقيقات أن اللـواء «نجيب» كان على اتصال منـذ إبريل سـنة ١٩٥٤ بالإخوان. وأنـه كان يعتزم تأييد الانقلاب الإخواني. ودعوة الجمهور إلى الإذعان لحكومة الإخوان. وهكذا تمَّت تنحية «محمد نجيب» من جميـع مناصبه وقرر مجلس قيادة الثورة تحديد إقامته.

الفيلاّ المُعتَقل

٢٩ عامـاً أمضاهـا الفريق أركان حرب «محمـد نجيب» – قائد الثورة وأول رئيس جمهورية فى مصر – في فيلاّ «زينب الوكيل» حرم «النحاس» باشا بعد أن غادر قصر «عابدين» في هدوء مع عضو مجلس قيادة الثورة «حسـن إبراهيم» حاملاً مصحفاً، وتبعته سيارة واحدة، ووعد من «عبد الحكيم عامر» بأن هذه الإقامة لن تسـتمر سـوى أيام قليلة، ويعترف «محمد نجيب» أنَّ الفيلاّ يوم دخلها كانت عروسـاً شابة حلوة نظيفة لامعة منسقة مثمرة نضرة لكنها مع الأيام، والسنين، وإهمال القائمين عليها وتغيير دورها من استراحة إلى مُعتقل، أُصيبت مثله بأمراض الشيخوخة؛ فالحشائش الشيطانية حاصرتها، الصدأ أكَلَ أبوابها الحديدية الضخمة، الإهمال أحرق أشجارها المثمرة، وكتائب الحراسـة حوّلت النخيل إلى وقود يتدفئون به في الشتاء، كما تحوَّل «الجراج» إلى مأوى لأفراد الحراسة، وقام «نجيب» نفسه بتحويل الدور الأرضـي إلى مخزن كبـير. لقد عاش «نجيب» في هذه الفيلاّ المعتقل، وهـو يحمل لقب رئيس جمهوريـة، وعلى رغم وجود خطة لتهريبه خارج مصر إلا أنه رفض بشدة، وظل يواجه أهوالاً إنسانية طوال تلك السنوات الحزينة في الفيلاّ.. بعد أن جردها ضباط البوليس الحربي من الأثاث، والسجاد، والستائر، واللوحات ومن ثمار الحديقة أيضاً.

بل إنهم صادروا كل شـيء يخصه، ومنها مقتنياته الشخصية من أوراق خاصة و«نياشـين» وسيوف ونقود، كل شيء كان يضمه بيته،

وكل ما سمحوا به زوجته وأولاده وثلاث حقائب وشغّالة ! ! ولم تُمحَ من ذاكرة «محمد نجيب» طوال حياته المقارنةُ بينه، وبين الملك «فاروق» عند رحيله، والذي تم باحترام حيث عزفت الموسيقى السلام الملكي، وبين الطريقة المهينة التي أُقصي بها «نجيب» من رئاسة الجمهورية.

ويقول عن هذا اليوم : أحسســت منذ الصباح أن شـيئاً ما غير عادي سوف يحدث؛ فقد شعرت بتراخي البوليس الحربي في تقديم التحية، وعندما دخلت القصر فوجئت بصاغ من البوليس الحربي اسمه «حسين عرفــة»، وكان ضابطاً في الحرس الملكي يوم خروج الملك، فوجئت به ومعه ضابطان وعشــرة جنود يحيطون بي، حاصروني، وهم يحملون مدافع رشّاشــة فرحت أصرخ فيهم، ابتعــدوا عني وإلا جاء الحرس الجمهـــوري، وتحول الموقف إلى مذبحة، والواقع أنني لم أكن متأكداً أن الحرس الجمهوري سوف يتدخل لحمايتي، والدفاع عني خاصة أنــه تم تغيير طاقم الحرس، ويبدو أنهم لم يكونوا يتوقعون مني ذلك فابتعدوا عني بالفعل.

المَوْتُ البَطيء

ويصــف «محمد نجيب» الحال التي عاش عليها طوال ســنوات اعتقالــه بأنها «الموت البطيء» فيقول: ينطبق عليّ خلال الســنوات التي عشتها قول «الميت الحي». فقد كان من المحظورات أن أزور أي مريض في منزله أو في المستشفى. وكذلك شراء لوازمي من أي مكان. أو التردد على أية وزارات لعمل توكيل لمحام ألماني اختاره المصريون في

ألمانيا لقضية مقتل ابني «عبد العزيز» الذي حُرمت من استقبال جثمانه في المطار، بينما استقبلته في المقبرة في الوقت الذي شُيِّعت جنازته رسمياً في ألمانيا الغربية... لقد حرموني من أبسط حقوق الإنسان، فزوجتي «عائشة» ظلت مريضة لأكثر من عشر سنوات في منزل أخواتها بحلمية الزيتون، وأولادي لا يشاركونني مصاريف المنزل، ولو بعلبة كبريت حتى أصبحت حياتي جحيماً .. وتمر الأحداث متلاحقة، ومريرة لكن الأيام كانت تمر بطيئة في معتقل المرج، فيكتب «نجيب» كلماته الأخيرة قائلاً: أقترب الآن من النهاية، أحزم حقائبي استعداداً للرحيل، أنام على فراشي، وأقرأ على فراشي، وأجلس، وآكل على فراشي، أحيا أيامي الأخيرة مع أمراضي وشيخوختي، جسدي نحيل، شهيتي ضائعة، النوم يخاصمني، والأرق يرافقني، لا أتناول في الصباح سوى بيضة واحدة، أما الأدوية فلا حصر لها؛ في تلك الأيام التي يختفي فيها تأثير الجسد على البشر، ويبقى نفوذ الروح، ويبتعد الإنسان عن المادة، ويغطي نفسه بالشفافية، وينسى آلام الدنيا والسلطة، والمال، والولد، ولا يتذكر إلا الحق، والتسامح، والصدق، والخير . وقبل الوصول إلى محطة الرحيل أتذكر هذا الموقف الذي حكاه «نجيب» حين قال: «أكثر ما أثار ألمي وحزني حضور ابني الصغير إليّ يسألني في اهتمام شديد:

هل كنت رئيساً للجمهورية ؟

وابتسمت للصبي وأنا أداعبه قائلاً: .. نعم .. كنت أول رئيس جمهورية لمصر، ولكن ما الذي دفعك إلى السؤال؟.. هذا تاريخ مضى

وانتهى..، وهنا قدَّم لي كتاباً للمطالعة جاءت فيه هذه العبارة: «جمال عبد الناصر» هو أول رئيس لجمهورية مصر.

فقلت لصغيري: لا تبتئس هذه إرادة الحاكم وليست إرادة الشعب الحقيقية؛ فقد رفعت المطابع اسمي من كل الكتب، ولم يعد ينشر مطلقاً اسم «محمد نجيب» في كتاب أو صحيفة حتى ولا في صفحة الوفيات .. لقد أحزنني هذا الأسلوب وهو إصدار حكم بالإعدام على اسمي بينما أنا مازلت حياً أعيش. لقد ظل «محمد نجيب» يقيم في معتقل المرج، ولم يتركه إلا عندما أمر الرئيس «مبارك» بتخصيص شقة له.

وفي هدوء رحل «نجيب».. الفريق أركان حرب «محمد نجيب» أول رئيس جمهورية الذي مكَّنه القدر من كتابة مذكراته التي أدلى خلالها بشهادته .. رحل «محمد نجيب» لكن بقي سؤال لا يزال مطروحاً وملحاً.. لماذا اعتُقل «محمد نجيب» كل هذه السنوات؟.. وإذا كان السبب هو خلافه مع «جمال عبد الناصر» فلماذا استمر اعتقاله حوالي ثلاثة عشر عاماً بعد رحيل «عبد الناصر»، وعامين بعد رحيل «السادات» أيضاً؟!



مع عبد الناصر وبينهما الملك سعود

الملازم محمد نجيب



اتفاق الإخوان مع محمد نجيب

عودة صلاح سالم من المملكة السعودية

اعترافات خطيرة عن علاقة الإخوان بمحمد نجيب

اعفاء محمد نجيب

عند مغادرته معتقل المر

نجيب ضابطا

آخر صورة قبل الرحيل بأيام

زيارة خاصة لمنزل عبد الناصر

أمينة رزق

❑ راهبةٌ فى مِحْرابِ الفن



- ٥٠٠ فيلم و ٣٠٠ مسرحية و١٠٠ مسلسل رصيدها فى خزانة الفن الأصيل
- حكاية أول لقاء لها مع ابن الباشا
- فى حياتها ١٤ حكاية ومشروع زواج
- الرجل الوحيد الذى أحبته قال لها: أنت امرأة جبارة
- نسيت أنها تزوجت.. وبعد عامين طلبها زوجها فى بيت الطاعة

مشـــوار حياتها بكل تفاصيله الدقيقة خصتــني به الفنانة الكبيرة «أمينــة رزق» خلال لقاءاتي العديدة معها في أكثر من مناســبة ورحلة تزاملنا فيها واقتربت منها وحكت لي الكثير والكثيرعن هذه المســيرة الفنية الحافلة التي أوصلتها إلى مجدها الفني الذي بنته بالحب والموهبة والعرق والكفاح والإخلاص رغم كل الصعوبات التي واجهتها.

أوراق وصــور كثــيرة ضمتها خزانتي كان لابــد أن أفرج عنها لتحتل موقعها في هذا الكتاب ليس لأنها تســتحق ذلك فحســب ولكــن لأنه مــن حق الأجيــال الصاعدة أن تتعلم مــن قصة كفاح وعبقرية هذه الفنانة العظيمة.

عَلقة بالكُرباج

بين أب قاس صارم.. وأم حنونة مغلوبة على أمرها نشأت الطفلة أمينــة.. كان يرعبها كرباج والدها الــذي كان يتعامل به مع أمها بل ومع هفواتها الســاذجة.. ولم تنــس أمينة هذا اليوم أبداً عندما صحبها خالها إلى الســينما. ولم يكن عمرها قد تجاوز الســابعة. فقد استجاب خالها لإلحاحها اليومي بأن تشاهد هذه السينما التي يتحدثــون عنها.. وبعد أن اســتأذن أمها وكانــت المرة الأولى التي تغادر أمينة قريتها «عرب الجعافرة» إلى البندر في طنطا.

كان الزمن غير الزمن.. فعندما عادت أمينة من السينما بصحبة خالهــا وجدت أباها في انتظارهــا حاملاً في يده «الكرباج» اللعين. وهو يستشيط غضباً. ويزمجر بكلمات قاسية يوجهها لخالها الذي فعل هذه الفعلة الســوداء. فاصطحب ابنته إلى هذه الســينما التي

هي رجس من عمل الشيطان.. ثم استدار الأب إلى ابنته الصغيرة، وقبل أن ينهال عليها بالضربة الأولى سارعت «أمينة» في الاحتماء بأمها التي حالت بينها وبين ردود فعل الأب الغاضبة، وسارعت بإخفائها تحت السرير، لكن الأب أخذ يتابعها من فوق السرير ويسدد الضربات الكرباجية الطائشة.. وكانت ليلة.. ظلت هذه الحادثة ماثلة في عقل ووجدان «أمينة رزق» شهوراً طويلة.. وظل الرعب يلاحقها، فيوقظها في منتصف الليل بعد أن تهاجمها الكوابيس التي تجسد شكل الكرباج ولسعاته الموجعة.. وبعد مرور ستة أشهر من هذه الحادثة.. صحت أمينة مذعورة على صوت صراخ أمها التي أخبرتها أن أباها قد مات.

وعلى رغم الحياة التي اتسمت بحزم الأب وتقاليده المحافظة بشكل مبالغ فيه وما كانت تراه من غيرته على أمها وحرصه الشديد على أن تسير الابنة على نهج الأم، وأن تنطوي هي الأخرى تحت طاعة رب الأسرة وتقاليده الصارمة.. على رغم كل ذلك فقد حزنت أمينة على فراق والدها الذي كان يمثل الحماية، وحائط الصد لهذه الأسرة الصغيرة في مواجهة الطامعين، وهو ما ظهر بوضوح بعد رحيل الأب مباشرة، بل وفي ليلة المأتم.. حيث جلست زوجة عمدة القرية بجوار أم أمينة تستفسر منها عن الميراث الذي تركه زوجها الراحل، والتي أكدت الأم خلالها أن زوجها التاجر كانت له ديون كثيرة لدى أهل قريته، وسجل المنزل الذي يملكه باسم ابنته أمينة، إضافة لوصيته بأن ترجع كل الديون التي سيتم تحصيلها إلى أمينة، وكذلك ما يتوفر من أموال وبعض المصوغات.

وعلـــى الفور راحت الزوجة للعمدة حاملة إليه تفاصيل حديثها مع أم أمينة، ليرسم لها الخطة التي ذهبت بها للزوجة المكلومة في اليوم التالي. وتخبرها استعداد حضرة العمدة أن يقوم بنفسه بجمع المبالغ المديون بها أهل القرية لزوجها، والإشراف على المحافظة علـــى ثروتهم، وهنا انطلقت أم أمينة تدعـــو للعمدة وتقول في ثقة «صحيح يا ناس الدنيا لســـة بخير».. وقبل أن يبدأ تنفيذ المخطط واللقاء الموعود بالعمدة، فوجئت أمينة بزيارة «نفيســـة هانم» جارة العمدة لتحذرها من الملعوب الذي أعده هو وزوجته لها للاســـتيلاء على أموال الأســـرة، وأخبرتها بما يخططه لها العمدة الذي اعتاد قتل عدد من الأرامل والاستيلاء على أموالهم ومجوهراتهم والقضاء علـــى كل ما تركه الراحلـــون، فلم يكن من أم أمينة إلا الإســـراع والهـــروب بجلدها هي وأســـرتها المكونة من أمهـــا وأختها أمينة محمـــد وابنتها أمينة رزق وغـــادرت القرية على الفور إلى القاهرة، حيث استأجرت شقة بحي روض الفرج..

لكـــن المفاجأة أن العمدة ظل يتابعها حتى بيتها الجديد. وأخذ يهددها إذا هي لم تسلمه كل ما تملك بقيامه بقتل الأسرة كلها، لكن إرادة الله أنقذتهم جميعاً عندما تم القبض على العمدة وزوجته بعد أيام قليلة وإدانته في عدة قضايا قتل بطنطا وحكم عليه بالإعدام.

حوَّلت سَريرَها إلى مَسْرح

عندمـــا وصلت أمينة رزق إلى القاهرة التحقت بمدرســـة «ضياء الشـــرق» بصحبة خالتها «أمينة محمد» التي كانت تزيد عليها في

العمر سنتين فقط مما جعلهما صديقتين لا تفترقان.. على رغم اختلاف شخصيتهما، فقد كانت أمينة رزق خجولة منطوية، في الوقت الذي كانت فيه خالتها جريئة شـعنونة وذات شخصية قوية ومسيطرة.. لكـن الصديقتين كانت تجمعهما هواية واحدة وهي الولع بمشـاهدة الكازينوهات والمسارح التي كان حي روض الفرج يزخر بها.. كانت أضـواء هذه الأجـواء الفنية تبهرهما، وأخذتا تتابعان في شـغف ما تقدمه مـن أوبريتات غنائية تجمعان كتالوجاتهـا وكلمات أغانيها المتواجدة أمام أبواب المسـارح لتذهبا بها إلى منزلهما وتحفظاها عن ظهر قلب.. وفي المسـاء يتحول السرير إلى خشبة مسرح، والناموسية إلى ستارة المسرح، أما الجمهور فكان هو باقي أفراد العائلة.

وظهـر واضحاً الميول الفنية المبكرة على الفتاتين اللتين حفظتا كل ما كان يقدم على مسـارح الريحاني والكسـار ومنـيرة المهدية وأولاد عكاشة وغيرهم.. وذات يوم اقترحت خالة أمينة وصديقتها أن تذهبا لمشاهدة فرقة رمسيس التي كانت تقدم حفلات «ماتينيه» في الخامسة والنصف مساء، وهو ما سهل لهما الذهاب للاستمتاع ليس فقط بالرواية التي تقدمها فرقة رمسـيس، ولكن بما يقدمه يوسـف بيه وهبي على وجـه الخصوص.. وعلى الرغم من التقاليد الصارمة التي تمنع دخول أي شـخص غريب إلى كواليس المسـرح إلا أنهما اسـتطاعتا التسلل والدخول لتجدا نفسيهما فجأة وجهاً لوجه أمام يوسف وهبي.

وكانت ليلة.. ظلت خلالها صورة ابن الباشا الذي جذبه الفـن إلى عالمه السـاحر. ظلت صورة اللقـاء تمر أمام عيني

أمينة رزق في شريط تمنت ألا يغادرها، وأن يعاد تكراره بلا توقف.. فعلى الرغم من مشاعر الرعب التي انتابتها منذ أن رأت النجم الكبير بشخصيته القوية المسيطرة، لكنها كانت لحظة طالما داعبت خيالها الخصب.

سألهما يوسف وهبي.. من أنتما ؟.. ومن الذي أتى بكما إلى هنا ؟.. وكيف استطعتما الدخول ؟.. فلم تنطق أمينة رزق بكلمة واحدة، بينما ردت خالتها قائلة: الحقيقة يا أستاذ إحنا بنحب التمثيل.. نعشقه.. وقد رغبنا أن نراك على الطبيعة، وبذلنا جهداً كبيراً للوصول إليك.

ضحك يوسف وهبي، وأشار لأمينة رزق قائلاً: وأنت.. فقالت: تماماً زي اللي قالته.. فقال لهما.. أنا سأقدم غداً مسرحية اسمها «الذهب» لديفيد كوبر فيلد فإذا أردتما مشاهدتها من الصالة فتعاليا.. ولم تكن هذه الفرحة التي انتابت الفتاتين من نوع الفرح المعتاد.

ومنذ ذلك اليوم أصبحتا تواظبان على مشاهدة مسرح رمسيس كل يوم تقريباً.. وذات يوم غابت إحدى الممثلات، فذهبت خالة أمينة رزق إلى مدير الفرقة لتعرض عليه قيامهما بتمثيل دورها خاصة وأنهما يحفظان الأغنية التي كانت ترددها في العرض، ولم يشأ المدير تقديمهما إلى «يوسف بيه» قبل التأكد من حفظهما للدور وإجادتهما له، ووقفت الفتاتان على المسرح ليلقيا تشجيعاً كبيراً من الجمهور.

وتصادف وجود الأم والجدة في المسرح يتابعان العرض، وكانت

المفاجأة أن وجدتا «الأمينتين» على خشبة المسرح تقدمان أغنية، وتحظيان بتشجيع الجمهور والتصفيق الحاد لهما ومطالبتهما بإعادتها، ولم يشفع هذا الإعجاب للفتاتين من العلقة الساخنة التي انتظرتهما في المنزل عند العودة، مع وصلة توبيخ تفوق في قسوتها «كرباج» والد أمينة الحاج «محمد رزق» رحمه الله، وتبع ذلك رقابة محكمة على تحركاتهما والتشديد عليهما إلى أن انتقلا إلى منزل جديد في باب الخلق، ولم يذهبا إلى المسرح طوال عام كامل، لكن الصدفة عادت مرة أخرى لتلعب لعبتها عندما كانت الأسرة تركب الترام حين وجدت أمامها «أحمد عسكر» مدير مسرح رمسيس ومعه زوجته وهي ممثلة اسمها «نفيسة»، وإذا به يوجه كلامه للفتاتين ويسألهما عن سر انقطاعهما عن الحضور للمسرح.. قالت أمينة إن أهلهما لم يوافقوا على عملهما في المسرح، فرد «عسكر» بأن مسرح «يوسف وهبي» ليس كأي مسرح آخر.. إنه مدرسة.. بل جامعة، وهنا ردت أم أمينة بأدب.. إن شاء الله.. وكان كلامها مجرد مجاملة للتخلص من الموقف.

لكن الفتاتين فهمتا غير ذلك وفسرتا كلمة «إن شاء الله» التي قالتها الأم على أنها موافقة.. وذهبتا إلى «يوسف بيه» في اليوم التالي تزفان إليه خبر موافقة أهلهما وتستشهدان بمدير المسرح «أحمد عسكر» ولقاء الترام الذي جمعهما به، وهنا قدم لهما يوسف وهبي عرضه بأن تعملا في فرقة مسرح رمسيس مقابل ٤ جنيهات شهرياً لكل منهما.

فوافقتا على الفور لكنه أبلغهما أنهما لابد أن توقعا عقداً

من أولياء أمرهما، وهنا أسـقط في يد الأمينتـين.. رزق وخالتها. وانصرفتـا وهما لا تـزالان تراجعان بنود العقد الذي تسـلّمتاهُ من مدير الفرقة لتكتشـفا بعض النصوص التي تمثل شرطاً جزائياً بأن تدفع كل منهما مبلغ مائة جنيه في حالة عدم تنفيذ شروط العقد، الذي يقضي أيضاً بأن تعملا شهرين كاملين مجاناً..

كادت الحيرة تعصف بالفتاتين الصغيرتين.. كيف سـتتصرفان في مشـكلة توقيـع ولي الأمـر على العقـود، عادتـا إلى منزلهما ولا تزالان تفكران في وسـيلة للخروج من هذا المأزق، حتى اهتدت خالتها «أمينة» إلى فكرة سرقة «ختم» جدتها التي لا تجيد القراءة وتسـتخدم الختـم عند اللـزوم، ونظراً لجرأة خالـة «أمينة رزق» وصديقتهـا الأثيرة، فقد قامت هي بتنفيذ هذه المغامرة، وتم وضع الختم على العقدين.. وانتهى الأمر..

فجـأة قامت القيامة.. فقد اكتشـفت الأم هـذه الكارثة، لكن الفتاتـين واجهتـا أم أمينة بأن العقود تم ختمهـا، وأنها تتضمن شرطاً جزائياً إن هما لم تنفذاه فستواجهان أمراً من اثنين.. إما أن تدفعا هذا المبلغ الضخم، وإما أن تذهبا إلى السجن.

ذهبـت الأم غاضبة إلى يوسـف بيه الذي تظاهر بأنه متمسـك بالعقـد، مما اضطر الأم إلى الموافقة والرضوخ للأمر، ولكن بشـرط هـو أن تتناوب الأم والجدة على حضـور البروفات والعروض وألا تتركا الفتاتين لحظة واحدة دون مراقبة.. لتحقق «أمينة رزق» حلم حياتها بالانضمام رسمياً لمسرح رمسيس.

أمينة.. الصَّبى الأعْرج

الشـــيء المثـــير حقاً أن أمينة رزق لم تبـدأ حياتها الفنية بدور فتـاة، وإنما بدأتها كـ «ولد»، وعندما بدأت الفرقة الاســتعداد لافتتـاح موسمهـا المسـرحي الجديـد.. اختار «يوسـف وهبي» مسرحية «راسبوتين» الذي أسند للممثلة الجديدة دور صبي أعرج ينطـق بكلمتين فقط في بداية المسـرحية، وطلب منها أن تتناوب هـذا الدور الصغير جـداً مع خالتها وصديقتهـا «أمينة محمد»، لكن «يوسـف وهبي» عاد ليغير رأيه أثناء إجراء البروفات، وقرر إسـناد الدور لأمينة رزق وحدها بعـد أن اختار دوراً آخر صغيراً أيضاً لخالتها.

وعندمـا حان وقت افتتاح العرض وظهرت أمينة لأول مرة على المسـرح أصابها رعب كبير، لكن الغريب أن هذا الدور الصغير قد لفت الأنظار بشدة، خاصة النقاد الذين كتبوا أكثر من مرة يشيدون بهذا الصـبي الموهوب الذي تنبئوا له بمسـتقبل كبير، وهو الأمر الذي فرض على «أمينة رزق» منذ البداية دور الصبيان، في الوقت الذي كان أفراد الفرقة يتوقعون لخالتها مستقبلاً أكثر لمعاناً منها باستثناء يوسف وهبي الذي أخذ يشجعها، ويؤكد أن لها مستقبلاً باهـراً.. ولا تنسـى «أمينـة رزق» اليوم الذي وقف فيه «يوسـف وهبي» على المسـرح يؤدي دور «العـراف» يقرأ الكف للممثلين في مسرحية «الاسـتعباد» فأمسك بيدها وقال لها «يا بنتي أتوقع لك مستقبلاً كبيراً ستكونين ممثلة دراما عظيمة».

ويشـــهد انتقال «أمينة رزق» مـــن أدوار الصبيان لأدوار الفتيات تفاصيل مثيرة، فقد كانت «روزاليوسف» هي بطلة فرقة رمسيس. وقد طلبت من «يوسف وهبي» أثناء تقديم مسرحية «الموت المدني» أن يعطيهــا دور ابنتها في المســرحية، وبعــد أن أدت أمينة الدور بامتيــاز أثار إعجاب الجميع، عادت «روزاليوســف» لتطلب من يوســف وهبي أن يزيد أجر الممثلة الجديدة الموهوبة، وبالفعل زاد راتب «أمينة رزق» ليصبح خمســة جنيهات بالتمام والكمال، وهو ما أثار خالتها وصديقتها أمينة محمد.

وفجأة ينشــب خلاف بين يوسف وهبي، وروزاليوسف بسبب توزيع الأدوار في مســرحية جديدة هي «الذبائح»، وكانت الأدوار النسائية الرئيســية ثلاثة.. زوجة أجنبية.. زوجة مصرية.. ودور بنت العــم اليتيمة.. ولأن «روزاليوســف» بطلــة الفرقة ونجمتها الأولى، فقد كانت تختار أدوارها بعناية حيث جاء اختيارها لدور بنــت العم اليتيمة، ولم يوافق يوســف وهبي معترضــاً ومؤكداً أن الدور لا يناســبها، وأســند هذا الدور لأمينــة رزق وهو ما أغضب روزاليوســف بشدة، وأمام إصرار يوســف وهبي على رأيه تركت روزاليوســف الفرقة، وانضمت لفرقة الريحاني بعد أن اتفقت معه علــى تكوين فرقــة تقدم الأعمال الدراميــة، ولم يقدر لهذه الفرقة النجــاح لتتجــه روزاليوســف بعد ذلــك للصحافة بعد تشــجيع أصدقائها الصحفيين مثل محمد التابعي وغيره..

وفي دورها الجديد في مســرحية « الذبائــح» وهو دور ابنة العم اليتيمــة، حققت «أمينة رزق» نجاحاً باهراً.. ويُذكر أنها في اليوم

الأول من العرض وأثناء الفصل الثالث من المسـرحية كانت تؤدي مشهداً تبكي فيه على انتحار ابن العم، انتابتها نوبة بكاء حقيقي شـديدة ليحتبس صوتها، وظل «يوسـف وهبي» يلقنها ويطالبها بالاسـتمرار، بينمـا توقفت أمينـة تماماً عن إلقـاء النص مكتفية بالبكاء الحار وغير مبالية بصراخ «يوسف وهبي».

في هذا اليوم شـعرت «أمينة رزق» أنهـا انتهت كممثلة، فواصلت البكاء طوال الليل، ولم تذق طعم النوم لحظة واحدة، وفي اليوم التالي ذهبت إلى البروفة في موعدها، وهي تقدم قدماً وتؤخر أخرى، واستعدت لتلقى قرار «يوسـف وهبي» باسـتبعادها من فرقته، لكن الفنان الكبير انتحى بها جانباً بصحبة الفنان «عزيز عيد»، وراح يلقنها أن الانفعال الحقيقـي مطلوب، لكن المطلوب أيضاً من الممثل أن يتحكم في نفسـه وانفعالاته، ولا يسـمح لها بالسيطرة عليه، وكان هذا هو الدرس الأول الذي تعلمته «أمينة رزق» في مدرسة «يوسف وهبي».

غَادَةُ الكاميليا

بعد أن تركت «روزاليوسـف» فرقة رمسـيس أصبحت «فاطمة رشـدي» هي بطلـة الفرقة الأولى، لكـن خلافاً وقـع بينها وبين «زينب صدقي» أثناء عرض مسـرحية «النسـر الصغير» التي كانت أمينة تشـارك فيها مع «فردوس حسن»، وأثناء العرض حدث أن تثاءبـت «زينب صدقـي» فضحك الجمهور، فتصـورت فاطمة أن زينب صدقي تعمدت أن يسـخر الجمهور منها، خاصة أن «فاطمة رشـدي» كانت تؤدي وقتها دوراً مؤثراً. وشهدت الكواليس خناقة

حامية بين النجمتين تركت على أثرها فاطمة رشدي الفرقة لتنشئ فرقة منفصلة مع زوجها «عزيز عيد»، ولتشتد المنافسة بين الفرقة الجديدة وفرقة رمسيس إلى حد أن الفرقتين كانتا تقدمان نفس العمل في نفس الوقت. وحلت «زينب صدقي» مكان «فاطمة رشدي» كبطلة للفرقة. وخلال هذه الأثناء قرر «يوسف وهبي» قيام فرقة رمسيس بجولة في البرازيل والأرجنتين وأمريكا، وعندما حان وقت السفر أصرت «زينب صدقي» أن يحجز لها مكاناً في الدرجة الأولى على الباخرة باعتبارها بطلة الفرقة، لكنه رفض بشدة طلبها، وأصر أن تشارك كل أفراد الفرقة بالدرجة الثالثة، وهددت بترك الفرقة، ولم يكن يوسف وهبي يخضع أبداً لأي تهديد، فأصر على رأيه لتسافر الفرقة بدونها، وليتم اختيار «أمينة رزق» و«فردوس حسن» لتتناوبا دور البطولة، وكانت مسرحية «غادة الكاميليا» من نصيب «أمينة رزق» والتي حققت فيها نجاحاً كبيراً، لكن ظروفاً صعبة أدت إلى عدم اكتمال الرحلة، من بينها الاضطرابات الداخلية في كل من البرازيل والأرجنتين لتعود الفرقة إلى القاهرة دون أن تكمل رحلتها لأمريكا، وليخسر وهبي أربعة آلاف جنيه كاملة.

وعند العودة كان قرار يوسف وهبي بأن تتولى أمينة البطولة في مسرحية «وراء الستار» على رغم اعتراض بعض أفراد الفرقة، لكن «يوسف وهبي» لم يكن يستمع لرأي أحد، وكانت أمينة تشعر بمسئولية كبيرة لهذا الاختيار الذي يمثل تحدياً ومراهنة من «يوسف وهبي» على موهبتها. وقد تسبب قلقها في نقص وزنها خمسة كيلوجرامات أثناء عرض المسرحية التي بذلت فيها مجهوداً

مضاعفاً. لكن أدوار البطولة ظلت تلازمها بعد أن لفتت إليها الأنظار بقوة، وفجأة يأتي «يوسف وهبي» ببطلة جديدة لمسرح رمسيس وهي الممثلة الجديدة الجميلة «عزيزة أمير» التي كانت تملك جمالاً أخَّاذاً وأنوثة طاغية، ولم يمض وقت طويل حتى دب الخلاف بينها وبين يوسف وهبي نتيجة غيرة زوجته من النجمة الجميلة. لتترك الفرقة ولتعود «أمينة رزق» من جديد بطلة لفرقة رمسيس

من المَسْرح إلى السينما.

في عام ١٩٣١ أطلت السينما كمنافس قوي للمسرح، وهو ما جعل «يوسف وهبي» يفكر في تحويل مسرحية «أولاد الذوات» إلى عمل سينمائي، فقام بالاتفاق مع «محمد كريم» على إخراج هذا العمل. وهنا تصورت «أمينة رزق» أنها البطلة المنتظرة للفيلم الجديد. باعتبارها نجمة مسرح رمسيس الأولى. لكنها أصيبت بصدمة كبيرة عندما اختيرت «بهيجة حافظ» لدور البطولة. فقد كانت تحلم بأن ترى باريس التي كثيراً ما سمعت عنها. واشتاقت لرؤيتها. وزاد ألمها عندما سافر فريق العمل بالفعل إلى باريس. لكنها لم تبد أي اعتراض أو امتعاض. فقد كان يوسف وهبي بالنسبة لها أكثر من أستاذ أعطاها الفرصة وشجعها. وكأن القدر أراد أن يكافئ «أمينة رزق» على صبرها واجتهادها. عندما تلقت طلباً عاجلاً من «يوسف وهبي» بأن تسافر إلى باريس بأسرع وقت بصحبة الممثل القدير «حسن البارودي». وفي باريس وجدت الجميع في انتظارها ليصحبوها إلى الأستوديو لأداء دور البطولة بعد أن وقعت خلافات بين «يوسف وهبي» و«بهيجة حافظ» وصلت تفاصيلها إلى المحاكم.

المهم أن «أمينة رزق» نجحت بامتياز في أداء دورها في الفيلم على رغـم إصابتها بالأنفلونزا نتيجة تغير الجو، لكنها انتهت من تمثيل الدور في أربعة أيام فقط، لتبدأ الأدوار تنهال عليها، لكن «يوسـف وهبي» كان يرفض بشدة بعد أن رفع أجرها إلى ٢٠ جنيهاً شهرياً.

وذات يوم التقى بها «سليمان نجيب» الذي أخذ يستثير همتها ويقول لها: إنها لا تسـتطيع التمثيل بعيداً عن «يوسـف وهبي»، لتفـور في أعماقها روح التحدي، وتقبل أن يضمها عمل بعيداً عن يوسـف وهبي الذي تصادف سـفره إلى الخارج، مما سـاعد على اتخاذهـا هذا القـرار الصعب، ولتقبل تمثيل فيلـم «الدكتور» مع سـليمان نجيب ليعود يوسف وهبي من سفره وتواجه «أمينة رزق» غضبه الكبير، ولكن العروض السينمائية أخذت تنهال عليها حتى أصبحت تمثل سـتة أفلام في السـنة الواحدة.. وليرتفع أجرها إلى ٢٥٠ جنيهاً في الفيلم، في الوقت الذي كانت ليلى مراد بطلة معظم الأفلام وقتها تتقاضى ٢٠٠ جنيه فقط..

وتنطلق «أمينة رزق» تغرد بعيداً عن سـرب «يوسـف وهبي»، وليصـل عدد الأفلام التي شـاركت فيها إلى حوالي الخمسـمائة فيلم، ورغم كل هذا النجاح الذي حققته في السـينما، لكن المسرح كان بالنسـبة لها شيئاً آخر.. فقد كان المسرح هو كل حياتها وهو الهـواء الذي تتنفسـه، وكثيراً ما كانت أمينـة تعيد عربون أفلام سينمائية اتفقت عليها، حينما كان يسند إليها دورٌ في مسرحية في نفس الوقت.. فالمسرح بالنسبة لها هو ملك الفنون كما كانت تقول دائماً. كما كانت ترى أن العمل في المسرح صعب للغاية، ويحتاج

إلى جهد كبير، خاصة إذا كان النص باللغة العربية الفصحى الذي يحتاج لعدد كبير من البروفات.. وقد بلغ حب أمينة رزق للمسرح حداً لم تعرفه ممثلة أخرى.. فعندما كانت تقوم بدور «سنية» في مسرحية «بنات الريف» كانت تشاهَد كثيراً في قرى قليوب تناقش الفلاحات حتى تمسك بالتفاصيل الكاملة للدور، وهكذا الأمر عندما قامت بأداء دور «أوفيليا» في مسرحية هاملت كانت تذهب لمستشفى الأمراض العقلية لتتعرف على جوانب الشخصية من خلال سلوك النزلاء.. وهكذا كانت تفعل في معظم أدوارها، كما برعت في أداء الأدوار الكلاسيكية والعصرية على السواء، كما كانت تؤدي أدواراً لمختلف المراحل السنية.

وعلى رغم شهرتها في أداء أدوار الميلودراما، لكنها أجادت بقوة في أداء الأدوار الكوميدية، ومن بينها دورها في مسرحية «إنها حقاً عائلة محترمة» ومسرحيات «أستاذ اللطافة» و «الريسة» و «حانة مكسيم» وغيرها.. ويزيد عدد المسرحيات التي قدمتها أمينة رزق على الـ ٣٠٠ مسرحية، إضافة إلى ١٠٠ مسلسل إذاعي، وعدد من المسلسلات التليفزيونية.

وخلال رحلتها نالت الفنانة الكبيرة الكثير من الجوائز وشهادات التقدير وأوسمة عديدة من مصر والأقطار العربية، وحازت مرات عديدة على لقب وجوائز أحسن ممثلة، وكرمت في العديد من المهرجانات الفنية.

ولم تكتف أمينة رزق بما أنجزته في المسرح والسينما والتليفزيون والإذاعة، بل إنها خاضت أيضاً تجربة الإخراج. ودخلت إلى

مجال الإنتاج بعد أن أسست شركة للإنتاج بمشاركة أحمد بدر خان لكنها لم تستمر بعد أن خسرت ٩ آلاف جنيه وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن، فأقلعت عن الإنتاج.

زواج ع الورق

كثيراً ما أثير سؤال حائر ظل طويلاً يبحث عن إجابة.. لماذا لم تتزوج أمينة رزق؟.. وهل مرت بتجربة الحب وخفق قلبها؟.. والواقع أنها كانت تقول دائماً إن الحب وهم كبير.. شيء لا وجود له بين رجل وامرأة، لا يمكن أن يوجد.. وإنما يتكيف في القلوب حسب الأهواء والظروف.. ولذلك يراه البعض جميلاً مشرقاً.. ويراه البعض الآخر مقبضاً وقاتماً ويدعو إلى القلق واليأس والعذاب.. وقد كانت ترى أن الزواج يمثل بالنسبة لها عقبة حقيقية أمام مستقبلها كممثلة.. والتمثيل هو عشقها الأول والأخير.

وعلى رغم ذلك فإن أمينة رزق قد تزوجت مرة واحدة.. والواقع يؤكد أن هذا الزواج حدث بالفعل، ولكن على الورق فقط.. وتتذكر أمينة حكايتين فقط من أصل ١٤ حكاية ومشروع زواج.

كان شاب من أصدقاء يوسف وهبي.. يعمل موظفاً حكومياً، شاهدها وهي تؤدي دورها في إحدى المسرحيات، فهام بها إعجاباً وتقدم لخطبتها.. رفضت في البداية، لكن إلحاح أقربائها وصديقاتها ظل يضغط عليها، فقبلت الخطبة بشرط تأجيل الزواج إلى ما بعد انتهاء الموسم الصيفي.. لكنها فوجئت ببعض التصرفات من العريس أثناء فترة الخطوبة جعلتها تتراجع، فقد كان دائم

التدخل في شـئونها ويمنعها من زيارة صديقاتها، ويقحم نفسه في قراراتها الخاصة، ويصر على مصاحبتها حتى عند الذهاب لقبض راتبها مثلاً.. كان شـاباً غيـوراً للغاية، وكانت الطامة الكبرى أو القشة التي قسـمت ظهر الزواج عندما جلسا يرتبان أمور الزواج، حيث اعترف لها أنه كذب عليها حين أخبرها أنه يتقاضى راتباً خمسين جنيهاً، وأن راتبه الحقيقي هو خمسة عشر جنيهاً فقط.. فقررت على الفور فسخ الخطوبة.. فقد كانت لا تطيق الكذب ولم تفلح ضغوط أصدقائها لقبول الأمر الواقع.

صَاحِبةُ العِصْمة

وفي المـرة الثانيـة.. كان بطلها ضابطٌ بالجيـش، أعجبته أمينة عندما شـاهدها في المسـرح وهي تؤدي دورها في إحدى المسرحيات، والـتي ظل يحضـر عرضها أكثر من مرة، ولم يكن هناك من سـبب يدعو أمينة لرفضه سـوى عدم رغبتها في الزواج، وعلى رغم ذلك فلم ييأس، وذهب لعائلتها لطلب يدها.. اسـتعانت عائلتها بصديقتيها «زينب صدقي»، و«فردوس حسـن» لإقناعها، وأخذتا تلحان عليها لمقابلته، حتى وافقت على اسـتقباله في منزل العائلة.. وترفض أمينة أن تغادر غرفتها لمقابلة العريس الوسـيم المنتظر بالخارج وسط إلحاح العائلة وصديقتها فردوس حسـن لتخـرج في النهاية، وتنهي الموقف بنفسها قائلة للعريس: «أنا آسفة جداً لن أتزوج».. لكن العريس ترك الشـبكة التي كان قد أحضرها معه قائلاً إنه سيظل متمسكاً بالأمل.. وظل يتردد عليها من وقت إلى آخر دون أن يفقد الأمل حتى نصحه

والده الذي كان ضابطاً كبيراً أن يسـافر إلى أمريكا علّه ينسى أمينة رزق ويرتاح من هذا العذاب.. وبالفعل سافر الشاب عام ١٩٢٨، وظل عاماً كاملاً بالخارج، وكان يبعث إليها برسـائله المغموسـة بعبارات الحـب الملتهبـة، دون أن تـرد عليه بكلمة واحـدة إلى أن انقطعت رسـائله، ومرت السنون.. سنون طويلة بلغت ١٤ سنة كاملة لتفاجأ أمينة باتصال تليفوني من الرجل ذاته يطلب منها أن يلتقيا.. ويشرح لها قصته خلال السـنوات الطويلة التي مرت ذاكراً زواجه من امرأة إنجليزيـة، وأنه اتفق معها على الطلاق لأنهـا تقيم في مصر بصورة مؤقتـة نظراً لقيام الحرب العالمية الثانيـة والتي تحول دون عودتها لبلادها، وعاد يجدد طلبه الزواج من أمينة التي لم يسمح لها تدخل أسـرتها بعنف وإصرار على الرفض هذه المرة، وهددوها بالتبرؤ منها إذا هي رفضته، حيث سـتتجدد الشـائعات بأن عدم زواجها سببه قصة حب تربطها بيوسـف وهبي.. ولم يصدق الرجل نفسـه عندما علم بالموافقة على زواجه من أمينة، فطلب أن يعقد القران فوراً.. لكن أمينة ذهبت ليوسـف وهبي تسـأله النصيحة فأشار عليها أن تطلب بأن تكون العصمة بيدها، وأن يسـجل في عقد الزواج شـرطاً واضحاً بأنه لن يمنعها من التمثيل أو السفر، وأن يحدد شرطاً جزائياً يلزمه بدفع ألفي جنيه غرامة في حالة إخلاله بهذه الشروط.

وكانت المفاجأة أن الرجل وافق على كل شروط أمينة، الأمر الـذي جعلها تفقد احترامها له، خاصـة موافقته أن تكون العصمة بيدهـا، وقـد تم عقد القران. ثم فاجأها بعد ثلاثـة أيام فقط بطلبه إتمام الزواج «الدخلة» سـراً ومحاولته أن تأخذ العلاقة بينهما شكل

ومضمــون الزواج الفعلي فرفضت طلبه خاصة وأن زوجته الإنجليزية كانت لا تزال موجودة بمصر، وهي لا تقبل الزواج من رجل متزوج.. وعندما رفضت تشاجرا ليختفي من حياتها لمدة سنتين كاملتين بعد بداية عقد القران، ونسيت أمينة أنها ارتبطت بالفعل برجل، وأنها أصبحــت على ذمته.. وهنا راحت صديقاتهــا ينصحنها بألا تترك الأمر هكذا بدون حسم.. فلجأت إلى المحامي «خيرت راضي»، وكان محامي الملك «فؤاد» الذي أحضر مأذوناً وتم الطلاق دون وجود الزوج علــى اعتبار أن العصمــة بيدها.. لكن الأمر لم ينته عند هذا القدر.. فقد فوجئت أمينة بعد ثلاثة أشهر بإعلان يطلبها فيه الزوج المحترم بالدخول في طاعته، لكن المحامي الشهير أراد أن يلقنه درساً فرفع عليــه قضية نفقة باســم أمينة، وتضمنت الدعــوى مطالبته بمؤخر الصداق، لتكســبها أمينــة، وأثناء خروجها مــن المحكمة اعترض طريقها الزوج الهارب واتفقا على أن يذهب لحال سبيله وأن ينساها وينســى للأبد زواجه الصوري منها.. وكان هذا هو الزواج الوحيد في حياة أمينة رزق.. لكنه كان زواجاً على الورق!

حبٌ في نادي الجزيرة

علــى هامش حياة أمينة رزق كثير مــن إرهاصات الزواج، بل وبعــض محاولات الحــب في اقتحام قلبها.. فقــد تقدم ذات مرة أحد الأثرياء لطلب يدها، ووافق على شرطها في عدم ترك التمثيل والتوفيق بين الحيــاة الزوجية والفنية، وعلى رغم أن الرجل كان مثقفاً وعصرياً، لكن ما حدث منه في تلك الليلة التي ذهب ليشاهد

إحدى مسرحيات خطيبته كان مفاجأة لأمينة رزق.. فبينما الرجل يجلـس في الصالة بـين المتفرجين. كانت أمينة تقدم مشـهداً في المسـرحية، وتتبادل مع زميلها الممثل كلمات حب سـاخنة ضمن نـص الرواية.. فجأة تسـمع صوتاً عالياً وصراخـاً في الصالة لفت أنظار المتفرجين والممثلين على السواء، ولم يكن هذا الصوت سوى الخطيـب المحـترم الـذي راح يصيح «بقى ده اسمـه كلام.. هو معقـول.. هي فاكراني إيه مغفل.. أنا لا يمكن أقبل كده.. سـلام عليكو».. وانصرف خارجاً وسط ضحكات الجميع.

أما قصة الحب التي كان سـيكتب لها النجاح لولا أن سيطرت أمينة رزق على مشاعرها فقد بدأت في نادي الجزيرة. عندما التقت بإحدى زميلاتها هناك والتي تصادف وقوفها مع عدد من الأجانب. وبينهم شـاب مصري وسيم من أسـرة كبيرة جداً. نادت زميلتها عليها لتعرفها على أصدقائها. وعندما دعاها الشاب لتضييع بعض الوقت في المشـي في النادي تحججت بأنها ذاهبة لمشاهدة فيلم في سينما ديانا، وفوجئت بأنهم ذاهبون لنفس السينما. فوافقت على الذهـاب معهم إنقاذاً للموقف.. وفي صباح اليوم التالي تلقت أمينة مكالمة من الشاب يدعوها لحفل بمنزله لضيوفه الألمان. وأنه يسعده أن تنضـم إليهم. وهناك اسـتقبلها بحفاوة بالغـة واهتمام كبير.. وبعدهـا بيومين تلقت دعوة جديدة للغداء في عزبته، فوافقت وكان يومـاً من أيامهـا الجميلة. حيث تبادلـت الأحاديث الطويلة مع الشاب الذي وجدته متميزاً ومختلفاً.. أحست بالارتياح الشديد له.. استمر اتصاله بها حتى شعرت بأحاسيس تدفعها إليه بقوة. لكنها

لم تسـمح لقلبها أن يعزف هذا اللحن وأن تقع أسيرة الحب الذي قد يؤثر على حبها الأكبر وهو التمثيل. فبدأت تبتعد وتتهرب منه بأعذار مختلفة. وسـاعدها على إتمام مخططها في إجهاض مشاعر الحب الزاحفة نحو قلبها سفرها للخارج.. وبعد سنوات اتصل بها ليطلب منها مسـاعدته في مشكلة وقع فيها.. وشرح لها قصة حبه لإحدى السـيدات وأنه لا يعرف كيـف يتصل بها ليبلغها بحبه، فوعدته أن تقوم هي بالاتصال بها وإبلاغها.. وبالفعل قربت أمينة رزق بـين الشـاب وفتاته حتى تزوجا. واسـتمرت الصداقة حتى أصبحت تقوم بدور حمامة السلام بين الزوجين.. وذات يوم اتصل الرجـل بأمينة يبلغهـا أنه طلق زوجته للمـرة الأخيرة وقال لها: اسمعي يا أمينة.. أحب أقولك كلمة محبوسـة في قلبي من زمان.. انـت امرأة جبارة.. سـألته: ليه؟ قال: انت المـرأة الوحيدة التي أحبهـا قلبي وتمنيت الزواج منها. لكنك وضعت أسـواراً حديدية بيني وبينك.. الله يسامحك يا أمينة.

شائعاتُ الحُبِّ المَكتوم

كثيراً ما كانت تثار شـائعات عـن حب مكتوم بين أمينة رزق ويوسف وهبي. وبأن هذا الحب وراء عزوفها عن الزواج، ولم يكن أحد على اسـتعداد أن يصدقها في أن يوسـف وهبي بالنسبة لها هو الأسـتاذ وليس شيئاً آخر. وكانت أمينة تسر للمقربين لها أنه على الرغم من أن يوسف وهبي كان «دونجوان» عصره لكنه لم يكن أبداً فارس أحلامها.

ولعل الذي دعم هذه الشـائعات عن الغرام المزعوم بين الأستاذ وتلميذته سببه أنهما كونا ثنائياً دائماً في كثير من المسرحيات التي كانت تفرض عليهما أدوار العشـاق والأزواج كلاماً ناعماً ومشـاعر جياشـة وإيماءات رومانسية.. لذلك تصور كثير من الناس أن هذه الأدوار تتطابـق مع الواقـع.. وكان هؤلاء لا يعلمون أن أمينة رزق قد ارتبطت بعلاقات طيبة مع زوجات يوسـف وهبي.. ويذكر أنه عندما كانت فرقة رمسـيس تعرض إحدى مسرحياتها برأس البر، وأثناء جولة أبطالها في المدينة كان يوسـف وهبي يمشـي بصحبة زوجتـه، بينما تسـير أمينة رزق بمفردها، وسمعـت بأذنيها من يتسـاءل: يا ترى مين الست اللي ماشي معاها يوسف وهبي دي وساب «أمينة رزق» عشانها؟!

وعلى الرغم من أن الزواج الوحيد في حياة أمينة رزق كان زواجاً صورياً علـى الورق فقط. لكنها تعتبر من أبـرع من مثل دور الأم الذي بدأته ولم يكن عمرها قد تجاوز «١٧ سنة».. ولم تشعر يوماً بالحـزن أو النـدم لعدم زواجها وإنجابها أطفـالاً، فقد كان الفن يعوضها عن الزواج، وكان أطفال عائلتها يمنحونها مشاعر الأمومة التي حرمت منها، وظلت تشعر بأن أعظم أدوار الأم مثلتها أمينة رزق في فيلم «أعز الحبايب».

ويرصد المحللون أسباب عبقرية أمينة رزق ومفاتيح شخصيتها فيحددون ثلاثة أشـياء هى البسـاطة والتلقائيـة والالتزام فكثيراً ما كانت تُشـاهَد «أمينة رزق» في سوق «الكيت كات» وهي تشتري

مـن الباعة الجائلين حاجياتها من الغذاء، وتختارها بنفسـها بل وتطهي غذاءها بيديها، كما كانت تحرص على حياكة ملابسـها بنفسها وتحتفظ في خزانة الملابس بأنواع وأشكال كثيرة استخدمتها في معظم الأدوار التي مثلتها حتى اشـتهرت بين المخرجين بأنها تختار ملابسـها من خزانتها الخاصة.. كمـا كانت «أمينة رزق» أول من يذهب إلى المسـرح أو الاسـتديو وتظل تراجع دورها طوال الوقـت حتى يحين موعـد التصوير، وبالإضافـة لهواية الخياطة كانـت «أمينة رزق» تهـوى القراءة وحفظت أكثـر من ألف بيت من الشعر.

عُضْو مجلس الشُّورَى

لم يتوقـف قطار إنجازات أمينة رزق طوال «٨٠» عاماً قضتها راهبـة في محراب الفن.. فقد كانـت الفنانة الوحيدة التي لقيت التكريم مـن الرؤسـاء الثلاثة عبـد الناصر الذي منحها وسـام الاسـتحقاق من الدرجة الأولى، والسـادات الذي منحها معاشـاً اسـتثنائياً، ومبارك الذي اختارها لعضوية مجلس الشورى، وقد كان لهذا التكريم الأخير أثر عظيم في نفسـها حيث كانت الفنانة الوحيـدة التي تختار في هذا المجلس الـذي يطلق عليه «مجلس الشـيوخ»، ولم يسبقها فنان آخر سـوى الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب.

بينمـا كانت أمينة رزق في زيارة لمبنى الإذاعة والتليفزيون.. وفي الواحـدة ظهراً أبلغوها أن ممدوح الليثي – رئيس قطاع الإنتاج –

يســأل عنها فتوجهت إليه ليبلغهــا أن الدنيا مقلوبة عليها. وقام الليثي بطلب وزير الثقافة فاروق حسني الذي تحدث للست أمينة كما كان يناديها..انت فين يا ست أمينة؟ .. خير يا معالى الوزير.. ســيادة الرئيس عايزك ضروري.. روحي بيتك على طول أســرعت أمينــة رزق بالذهاب لبيتها في الوقــت التي أخذت الهواجس تلح عليها وتتســاءل في نفسها.. ترى ماذا يريد مني الرئيس.. لابد أن الأمــر خطير.. ربما لــردود فعلي الغاضبة لتجاهل تكريم يوســف وهــبي في الاحتفــال بيوم المســرح.. هل يمكن أن يكــون الأمر تم إبلاغــه بطريقة أغضبت الرئيس؟.. راحــت هذه الأفكار تجول في خاطــر أمينة التي ما إن وصلت بيتهــا حتى رن جرس التليفون.. وأبلغوها أن الرئيس يريد الحديث معها. شهقت أمينة.. الرئيس.. معقول؟

أتاها صــوت الرئيس.. أنا حبيت أبلغك الخبر بنفســي.. إيه رأيك تبقي عضو في مجلس الشورى.

– يا سيادة الرئيس هو أنا أقدر أقوم بالمهمة دى

– سأوقع القرار حالاً.. مبروك!!

لم تصدق «أمينة رزق» نفســها.. حلقت روحها فرحاً.. فلم تكن تتوقع أن تشــارك في الحياة السياسية وهي التي كانت لا تتعاطى هذه السياســة ولا تقترب منها طــوال حياتها.. ليصبح عام ١٩٩١ الــذي اختــيرت خلاله عضــواً لمجلس الشــورى عامــاً مهماً في مســيرتها.. حيث انضمت لعضوية «لجنة الخدمات» التي تختص

بالرعاية الصحية وتنظيم الأسرة والطفولة والتعليم ورعاية الشباب.. وكعادتها اعتكفت لمذاكرة ومراجعة دورها الجديد الذي ستؤديه في مجلس الشورى، وبعد أن استقبلها أعضاء المجلس استقبالاً حافلاً راحت تقدم عطاءً جديداً، فقد كان كل اهتمامها أن توفق في المهمة التي اختيرت لها وأن تكون عند حسن ظن الرئيس.

أيّامٌ قبلَ الرّحيل

مرت السنوات الأخيرة في حياة أمينة رزق وهي تعاني من بعض أمراض الشيخوخة، لكنها أبداً لم تستسلم وكان المخرجون الذين يستعينون بها – في أدوار لا يمكن أن يؤديها سوى أمينة رزق – كانوا يدهشون لهذه السيدة الصلبة.. فقد كانت تنقل قدميها بصعوبة وتعاني من بطء الحركة بشكل عام وأوجاع عديدة أكثرها إيلاماً في العمود الفقري الذي استخدمته كثيراً في الإنحناء على مدى أكثر من ثمانين عاماً وهي تحيي جمهورها الذي أحاطها بالحب والإعجاب.. كانت أمينة رزق التي تجاوزت التسعين من عمرها بمجرد أن تدور الكاميرات تتحول إلى ابنة العشرين ربيعاً وتتناقل في الاستديو كالفراشة فقد كان الفن بالنسبة لها هو إكسير الحياة.

أما أيامها الأخيرة فقد اختارت أن تكون في الحجرة التي استقرت فيها في مستشفى القصر العيني الفرنساوي ومنعت دخول الكثيرين إلى حجرتها أو تبديل طاقم التمريض. حيث اختارت غرفة نائية في نهاية الممر لتتجنب الضوضاء وطلبت أن تعلق ورقة

على باب الغرفة تعلن فيها الاعتذار عن اســتقبال الزائرين، وكان الاســتثناء الوحيد هما الفنانتان "ليلى فوزي" و"معالي زايد" التي ارتبطت معهما بعلاقة قوية للغاية منذ أكثر من عشــر ســنوات.. كانت معالي تتردد عليها بشــكل شــبه يومي حيــث كانت تقرأ القــرآن بجوارها وتدعو لها.. وعلى رغم اكتشــاف الأطباء خطورة مرضها بالرئة لكنهــم أخفوا ذلك عنها إلا أنهم فوجئوا أنها على اســتعداد أن تتعرف علــى حقيقة مرضهــا، ولم توافق على رغم الإلحاح على الحصول على العلاج بالإشعاع، وظلت تجري مزيداً مــن الفحوصات وعندما تأكد لها أن الوحش الكبير قد تســلل إلى جســدها، أخذت تردد للأطباء والمقربين أنها تشعر بالاكتفاء، فقد ظلت واقفة على المسرح ثمانين عاماً وهذا يكفي.. ولم تشأ أن تترك المستشــفى الذي وجدت فيه هدوءاً افتقدته سنوات طويلة عاشت خلالها تحت الأضواء ووسط الضجيج.

لقد أحســت أمينة رزق في أيامها الأخيرة بقرب الرحيل. وكانت تقول قبل أيام قليلة من رحيلها: إن الحياة أصبحت بالنســبة لها مثل الســيارة القديمة تحتاج إلى من يستبدلها، وأنها في شوق كبير للقاء أصدقائها القدامى يوســف وهبي ورفاق مســرح رمسيس الذين رحلوا وتركوها تكمل مشواراً من العذاب في زمن تغيرت فيه القيم.

في عالم الفن ومهما طالت فصول المســرحية فإنه لا مفر من نزول الســتارة وانتهاء العرض.. وهكذا الحياة التي أســدلت الستارة على هذه النجمة التي سطعت طويلاً في سماء الفن.. نزل الستار، ولا يزال صوت «يوسف بيه وهبي» يجلجل «وما الدنيا إلا مسرح كبير».



تروى حكايتها للمؤلف

في شبابها

في أحد ادوارها



يوسف وهبى كان الاستاذ
وليس الحبيب

تَوْفيق الحَكيْم

❑ اعترافاتٌ قبلَ الرَّحيل



- سيدتان وراء اتهامى بالبخل، وعداوة المرأة
- الملكة «نازلى» طلبت طردى من وظيفتى
- كل إشاعة تناولتنى لم أحاول نفيها
- قدَّمت للحمار شَاياً بلبن فرفض
- عشنا فى زمن تمتعنا فيه بأكثر من الفلوس

كثيرة هـي الأوراق والصور والكتب الـتي تضمها خزانتي عن الأديب الكبير «توفيـق الحكيم» كرصيد أدبي، وثقافي ألجأ إليه، وأستعين به وقت الحاجة..

وقد فـرض هذا الرصيد نفسـه أثناء إعدادي لهـذا الكتاب «صور وحكايات»، وكان لابد، وأن يكون له مكانة على صفحاته بكل البصمات التي تركها «الحكيم» على حياتنا الثقافية والفكرية والأدبية..

كانت مشكلتي من أين أبدأ وكيف؟ .. «فتوفيق الحكيم» الأديب، والفنان، والفيلسـوف كتاب مفتوح أمام الناس، ولن أضيف جديداً لـو حاولـت الإبحار في بحور فكـره وأدبه؛ وهنا تقفـز إلى ذاكرتي سلسـلة الحوارات التي كان قد أجراهـا على فراش مرضه الأخير، والـتي صاغهـا الكاتب الكبير «صـلاح منتصر» بريشـة فنان قدير ونشـرها بجريدة الأهرام منذ سنوات؛ تلك الحوارات التي تعتبر من الأعمـال الصحفية التي تُعد مرجعاً مهنيـاً إضافة لما تمثله من ثروة فكرية وأدبية مهمة .. وهذه الحوارات «الوثيقة» تحولت بعد نشرها بسـنوات لتضمها دفَّتا كتاب نفدت طبعاته المتعددة من الأسـواق، ووجـدت صعوبـة كبيرة في الحصول على نسـخة منه أسـتعيد من خلالها ذكريات تلك الحوارات المهمّة، حتى قدم لي المؤلف النسخة الوحيدة التي بقيت في مكتبته، ومنها أنقل بعض السطور.

رسالةٌ إلى الله

أبدأ بالحديث الذي أثار موجة من ردود الفعل الغاضبة «حديث مع الله»، وبعد أن أجرى "صلاح منتصر" عملية جراحية عاجلة

للمقال استأصل خلالها كلمة «مع» واستبدل بها كلمة «إلى» ليصبح عنوان المقال «رسـالة إلى الله» بعد أن اسـتأذنه في هذا الاستبدال، المهم أن الغضب اسـتمر، والانتقادات تصاعدت على رغم تعديل الاسـم الذي كان بكل المقاييس غريباً على أُذن المجتمع بمختلف شرائحه، وفئاته بمن فيهم المثقفون.

يقول «صلاح منتصـر» :عندما زرت «توفيق الحكيم» لأول مرة بعد شـهرين من مرضه، وعزلته وحده، بلا أصدقاء، أو زُوَّار، أو تليفونات تسـأل عنه، وتعطيه أهمية، كان أدق ما ينطبق عليه ما قاله هو نفسـه في إحدى مقالاته القديمـة: «إن الفنان أو الأديب لا يهدمـه الذم أو النقـد، بل إنهما يدعمان وجـوده، إنما الذي يهدمه ويقتله حقاً هو الإهمال.. إن كفنه منسـوج من العنكبوت، ومدفنه تحت غبار النسيان، ولكي يستمد إحساسه بالحياة فلابد مـن التنويه بأعمـال الفنانين، والأدباء من حـين إلى حين، وأن نجعلهم يشعرون أن رسالاتهم قد وصلت إلى قلوبنا وعقولنا، وأننا لجهودهم شاكرون، ولصنيعهم عارفون».

ولكن «توفيق الحكيم»، وقد كان يعتقد أنه كتب أعمالاً تستحق الخلود، وجد نفسه بعد شهرين فقط من دخوله المستشفى شخصاً منسياً لا يذكره أحد، وعندما نشرت حديثه الأول تجددت العلاقة التي قُطعت، وأُهملت بين توفيق الحكيم والناس.

وفي يوم الأحد ١٥ يوليو ١٩٨٤ نشرت الجزء الثاني من حديثه، وكان أول سؤال فيه: أستاذ «توفيق الحكيم».. إنك لا تطلب شيئاً

لنفسك اليوم، لا مال ولا منصب ولا وسام.. بهذا التجرد الذي وصفت فيه نفسك بأنك تجلس على ضفاف الموت، ماذا تقول للحاكم؟ .. لم تأتني إجابته عن سؤالي مباشرة، كما كانت عادته في الأسئلة السابقة، عندما كنت أشعر أنني مثل لمسة الإصبع على جهاز الكمبيوتر، ما أن أوجه السؤال حتى يفيض بالرد ، هذه المرة لاحظت يديه تقبضان بقوة على عصاه التي يمسك بها، ثم بعد تركيز شديد مكثف من التفكير أحسست به، وأنا أراقبه، وبدأت أسمع صوته ..

قال وهو يتحسس خطى كلماته حتى لا تنحرف عن طريق مرسوم في فكره: لابد أن أبدأ أولاً بتأكيد أنه ليست لدى عُقَد من الماضي أو الحاضر أو المستقبل.. ومع أنني ضد الشعارات إلا أنني لا أستطيع في هذه اللحظة إلا الاعتراف بأنني أسير وفق شعار واحد اسمه «مصلحة مصر» وعندما تأتيني هذه المصلحة من أي طريق أو باب فإنني لا أوصده مرضاة لأي رأي مسبق أو شعار. وإنما أجد لزاماً عليَّ ضرورة مناقشته.

أكبَرُ مَبلغ تَقَاضَاه

وخلال هذه الحوارات سأل «منتصر» «الحكيم» عن أكبر مبلغ تقاضاه في حياته فقال بدون تفكير: والله .. أكبر مبلغ قبضته كان في رواية «عودة الروح» .. وأنا كنت فاهم عندما جاءوا يشتروا مني الرواية حتى يمثلوها أنني إذا قلت لهم ٥٠٠٠ جنيه يعني

باطفشـــهم ولكني فوجئت بأنهم ذهبوا وأرســلوا الـ ٥٠٠٠ جنيه، وهذا أكبر مبلغ تسلمته».

قلت: وماذا فعلت به؟

قال ســاخراً: اشتريت به شهادات استثمار، لكن ما فضلوش، ابني الله يرحمه كان عاوز يشـتري أورج، وظل يلح على أمه إلى أن أخذ فلوس الشهادات، واشترى بيها أورج.

قلت وأنا أسـتفزه: تعرف أن هنـاك ممثلين بيقبضوا ٨٠ ألف جنيـه في الفيلم هذه الأيام مرة واحدة. (لاحظ أن هذا الحوار كان في عـام ١٩٨٤م، ولم يكـن رقم ما يتقاضاه بعض الممثلين قد وصل إلى أرقام الستة أصفار).

فرد عليَّ «توفيق الحكيم» سـاخراً: "دا أنا لو اشـتغلت آخرة ودنيا ما أقدرش أكسـب المبلـغ ده .. ملكش حق تقارني بالناس العظـام دول!!.. لكـن إحنا عشـنا زمان تمتعنا فيـه بأكثر من الفلـوس .. بأكثر مـن كل هذه الألوف .. لقد كنا في زماننا القادة المفكرين لهذا البلد، وهذه متعة لا تسـاويها أي فلوس، ولكن من هـم القادة المفكرون اليـوم؟.. لا تعرف هناك اهتمامات أخرى .. فيـه انتصارات أخرى مثل انتصارات الكرة، ولذلك أنا أعيش في عالم لا مكان لي فيه ولا مسـتقبل.. من الصعب أن أجد لنفسـي مكانـاً في هذا العالم.. فالكرة لا أهواهـا.. حتى التمثيليات التي يذيعهـا التليفزيون.. ولذلك تجدنـي فعلاً في حيرة .. تقدر تقول إنني متفرج من عالم آخر لم يعد يستمتع بأي شيء في عالم اليوم.

لدرجـــة أنني لم أعد أعرف لمـــاذا أعيش.. وربما ما أنتظره هو أن يفكر لي شخص آخر، ويحدد لي مهمة يمكن أن أقوم بها خلال المدة الباقية من عمري.. لو حدد لي هدفاً أعمله في سنتين أعيشهم أعتقد أن هذا ســيفيدني جداً.. لأن هذا يعكس الإحساس بحاجة الآخريــن إليّ، وهذه هــي القيمة التي يمكن أن تبقى لي بعد كل هذا العمر.

البَخيلُ .. عدو المَرْأة

ومثلــه مثــل كثير من المشــاهير فقد التصقت بــه مجموعة من الشــائعات مــن بينها أنه بخيــل، وعدو للمــرأة، ويؤكد «توفيق الحكيم» على أنها مجرد شائعات فيقول:

أما عن «البخل» فقد كانت «أم كلثوم» أول من روَّج لها فعندما اجتمعنــا في وليمة فســألت المدعوين: هل ســبق لكم أن حضرتم عزومة على مائدة «توفيق الحكيم»؟ فأجاب جميعهم بالنفي. وأنه ليــس لي مائدة، ثم تقابلنا بعد ذلــك في وليمة كان فيها «العقاد» و«المازنــي»، فطلبت من كل منهما التبرع لنقابة الموســيقيين التي كانت هي وقتها رئيســتها، وجــاء دوري فأخرجت لها محفظتي فوجدتهــا خالية، فقال لها «المازني»: ابحثــي في علبة نظارته، لأن «المازني» كان يعلم ذلك، لأني سبق أن قلت له: إن المحفظة معرضة للنشــل، أمــا النظَّارة الطبية فمن ينشــلها؟ ففتحت علبة النظارة فوجدت ورقة مالية بخمســة جنيهات. فأخذت النقود،

ثـم أعادت لـي علبة النظارة، وهـي تقول بما اشـتهر عنها من النكات: «إنت حاطط الفلوس في عينيك» ، وهكذا شاع عني حب النقـود والبخل، ولا أريد الآن أن أدافع عن نفسـي، فأنا هنا في مجال الاعتراف، ولا محل للإنكار والتبرير، وقد تكون الإشـاعة صحيحـة.. فليكن.. فحياتي كلها لا أحبها، ولا تسـتحق عندي الدفاع عنها.

أمـا عداوته للمرأة فيقول عنها «الحكيم» هذه أيضاً السـبب في اتهامي بها يرجع إلى امرأة أخرى مشهورة هي «هدى شعراوي»، بسبب مهاجمتي لأسلوبها في تشكيل عقلية المرأة المصرية، وخاصة البنات، بـأن حذَّرت الجميع من الاسـتمرار في حياة الجواري، وخدمة الرجال، والأزواج في البيت، لأنهن مسـاويات للرجل في كل شيء، واشتكى لي بعض الأزواج من البنات، والزوجات طراز «هدى شـعراوي» فهِمْنَ رُقيَّ المرأة على أنه استعلاء على الرجل، وعـدم العمل والخدمة في البيت، فكتبت في ذلك كثيراً، ونصحت الزوجـة الحديثة بأن تعرف على الأقل أن تهيئ الطعام لزوجها، وأن أسـهل صنف يمكن أن تطبخه له هـو «صينية البطاطس» في الفرن، ونشـرت مجلة مشـهورة حديثاً لي وقتـذاك بعنوان مثير وهـو..«لا توجد زوجة صالحة في مصـر» ، ولم تكن النتيجة فقط إلصاق «عدو المرأة» بي من «هدى شـعراوي» وزميلاتها من سيدات مصر، وتلميذاتها من الشباب، ولكن امتد الغضب إلى القصر الملكي نفسـه، وظنـت الملكة «نازلـي» – فيما أعـرف – أن المرأة غير

الصالحـة في مصر تشـملها هـي أيضاً، فطلبت مـن «على ماهر» باشـا، وأظنه كان رئيسـاً للديوان الملكي، العمل على طردي من وظيفـتي بالحكومة، لولا أن وقف بجانـبي رجال الأزهر، ولكن بقى دائماً لاصقاً بي وصف «عدو المرأة»، ونُسـيت الأسـباب التي كانت الأصل.

ولا أريـد هنا أيضاً التبرير أو الدفاع عن نفسـي، فربما كنت أكـره المـرأة فعـلاً، لكثرة ما كانـت هي السـبب في العديد من مشـاكلي، ولكني مـع ذلك أحبها كأنثى، خلقهـا الله تعالى لنا مودة ورحمة.

العَصَا.. والحمَار.. والبِيريْه

ولقـد اعتقد بعض الناس أن «البخل» و« عدو المرأة» ليسـت أكثر من أسـاليب دعاية عن رجل الفن والأدب، كما كان يُقال عن «برنارد شـو» إنه يلبس أحياناً ملابـس ملوَّنة لافتة للنظر، ويذهب بها في المجتمعات المتلئة بالجماهير مثل سباق الخيل، ولذلـك كان من السـهل تصور أن هذا يحـدث معي، خصوصاً إذا أُضيـف إليه «العصا»، و«الحمـار»، و«البيريه» ونحو ذلك؛ فهذه الوسـائل الـتي اعتبرت دعايات من ابتـكاري كانت لها ظروفهـا الحقيقية في الواقع، ولم يكـن لي يد فيها، أو التفكير في اسـتخدامها، إلا بعد أن شـاعت فأبقيت عليها، ولا أحاول تكذيبها، لأني أعتقد أن التكذيب يثبت ولا ينفي، وأن من يُقال

عنه إنه مجنون فيُكــذِّب، ويقول إنه عاقل فإنه يثبت جنونه، ولذلك كل إشاعة عني أستمر فيها، وأؤكدها، ولا أحاول نفيها، إلا مــا كان فيه ضرر للغير، فأنا أعترف بأنني لســت طيباً ولا خيِّراً، ولكني أقســم أنــي لم أضر أحداً، ولم أتســبب عمداً في الإضرار بمخلوق، حتى الصرصار الذي يسير أمامي لا أحاول أن أدوســه بقدمي؛ بل أتركه يعيش حياته، قد أبعده عني بوسائل أخرى تفادياً لضرره.. وفي رأيي أن الدعاية ذاتها لعمل أو إنتاج لا يُشين صاحبه، ما دام لا يضر بالغير، وكنت أرحِّب أن أكون أنــا المبتكر، والمبدع للدعايات عن أعمالي، ولكنني قليل الحيلة والقدرة والتفكير العملي في ذلك.

وحــول حكايته مــع الحمار «حمــار الحكيم» يقــول الأديب الكبير:

أعجبــني حمار صغير عرضت على صاحبه أن يبيعه لي بربع جنيه، لكنه ســخر مني، ودخلــت محل حلَّاق فوجدت صاحب الحمــار يلحق بي بعــد أن قبل بيعه بربع جنيــه، وكانت ورطة كبيرة لأني كنت ســاكن في بنســيون، وحاولــت أن أقدِّم للحمار الشاي باللبن لكنه رفض، وفي اليوم التالي سافرت، ومعي حماري لعزبــة أحد الأصدقاء، وتركته هناك، وأخذت أعود إليه من وقت إلى آخــر لزيارتــه لكني بعد فترة غياب عــن زيارته عدت لأراه، وقــد أصبح حماراً كبيراً يحمل «السِّــباخ» والأحمال الثقيلة، وهو ما جعلني أتأمل وضعه الجديد.

ورغـم أن الحكيم عاش ٨٥ عامـاً قدم خلالها مئات الأعمال الخالدة لكنه اكتشـف في نهاية رحلته أنه لم يستطع أن يحقق كل شيء، واعترف بأنه ليس طيباً لكنه أقسم أنه لم يضر أحداً وأن الحياة «يقظة بين نومين» وأن الخلود كلمة اخترعها الإنسان الفاني، وأن الموت هو النوم الأخير.

مع الرئيس حسنى مبارك



مع صلاح منتصر واعترافات قبل الرحيل



أم كلثوم أطلقت شائعة بخله


الحكيم طفلا

الملك فارُوْق ..

❑ البدايةُ التى رَسَمَت طريقَ النّهـاية



- فاروق جلس على عرش مصر وهو في السادسة عشرة
- رفعوا عمره سبعة أشهر بعد أن حسبوه بالسنين الهجرية
- الملك الصغير طلب أن يبايعوه خليفة للمسلمين، وأميراً للمؤمنين
- راهن على انتصار دول المحور ثم عاد ليرتمي في أحضان بريطانيا
- فاروق واصل احتفاله بولي عهده، والنيران تحرق القاهرة

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء.. المِنَّة لله وحده.. بما أنه في الساعة العاشرة، والنصف من مساء الأربعاء المبارك ٢١ جمادى الأول سنة ١٣٣٨للهجرة، الموافق ١١ فبراير عام ١٩٢٠م قد منَّ الله علينا بمولود ذكر أسميناه «فاروق»، فقد استصوب لدينا إصدار أمرنا هذا لدولتكم إحاطة لعلم هيئة حكومتنا بهذا النبأ السعيد لإثباته في سجل خاص يحفظ برئاسة مجلس وزارتنا، وتعميم نشره في جميع أرجاء القطر مع تبليغه لمن يرى تبليغه إليه بصفة رسمية، وإجراء ما يقتضي إجراؤه بهذه المناسبة المباركة، وإني أسأل الله القدير أن يجعل هذا الميلاد مقروناً باليُمْن، والإسعاد للبلاد من فضله وكرمه ..»

فؤاد الأب

وسط كومة الصور، والمعلومات الخاصة بالملك «فاروق» التي احتفظ بها في خزانتي، وجدت هذا البيان الصادر من السلطان «أحمد فؤاد» إلى رئيس وزرائه يبشِّره فيه بقدوم ابنه «فاروق».

كتب وملفات كثيرة قرأتها، واطّلعتُ عليها عن هذه المرحلة من تاريخ مصر، إضافة إلى حواراتي مع بعض من عاصروا جانباً منها رغم قِلتهم، إلى جانب العدد الضخم من الصور الذي أضفته إلى رصيد خزانتي؛ وكان طبيعياً أن يكون لهذه الصور، والحكايات مكانٌ في هذا الكتاب.

كان السلطان «أحمد فؤاد» قد تولَّى عرش مصر يوم ٩ أكتوبر عام ١٩١٧م. وبعد أقل من عامين تزوج من «نازلي» ابنة «عبد الرحيم باشا

صبري» وزير الزراعة آنذاك، التي أنجبت أربع بنات شقيقات لـ«فاروق»؛ وبقدوم «فاروق» نجح أبوه في الحصول على موافقة السلطات البريطانية من خلال مندوبها السامي في مصر على نظام الوراثة على عرش مصر، وهكذا أصبح «فاروق» بعد أيام من ولادته الوريث الشرعي للعرش.

ولأن السلطان «فؤاد» كان من أشد الموالين لبريطانيا فقد وافق على طلب المندوب السامي البريطاني بأن تتم تربية الطفل على يدي مربية إنجليزية، ويتلقى تعليمه في بريطانيا.

الأمير فَارُوق

كان أول بيـان أصدره السـلطان «فؤاد» بعـد إصدار تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م، وإعلان الاسـتقلال أن منح نفسه لقب «حضرة صاحـب الجلالة ملك مصر»، وأصبـح الطفل «فاروق» يحمل لقب «حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فاروق».. كان طفلاً جميلاً رقيقاً في السـابعة من عمره عندما قرر والده بالاتفاق مع المندوب السامي البريطاني أن يتلقى تعليمه في مدرسـة «أيتون» في بريطانيا، ولكن والدته الأميرة «نازلي» رفضت ذلك بسبب قلقها الشديد عليه، حيث كان هو عزاءها الوحيد في الحياة التعسـة التي تحياها خلف أسوار القصر، وتم الاتفاق على أن يتولّى فريق من المدرسين الإنجليز إعداد برنامـج تعليمي للأمير مقتبس من برنامج نفس المدرسـة «أيتون»، وعندما بلغ «فاروق» سـن الرابعة عشـرة أصبح شاباً وسيماً، وكان لابد من اسـتكمال دراسـته في بريطانيا، وبالفعل تم إلحاقه بكلية

«وولويتش».. ولكن لم تمض فترة طويلة على دراسته بهذه الكلية حيث تُوفي والده الملك «فـؤاد» في ٢٨ إبريل ١٩٣٦م، وعاد ولي العهد من بريطانيا لكي يخلف والده.

الملك فَارُوق

تم التصديق على ولاية «فاروق» عرش مصر في البرلمان يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٦ وكان عمره ستة عشر عاماً وبضعة أشهر؛ أي لم يبلغ السن القانونية لتولي العرش وهي الثامنة عشرة، ولذلك تولى سلطاته مجلس وصاية، وعندما أعلن «علي ماهر» باشا الذي كان يتولى رئاسة الوزارة الانتقالية في ذلك الوقت تولى جلالة الملك «فاروق» العرش خلفاً لوالده، وتحت الوصاية، قرأ رسالة من جلالته يعلن فيها تنازله عن ثلث مخصصاته الملكية، وكان يبلغ في ذلك الوقت خمسين ألف جنيه.. تنازل عنها الملك الصغير لتنفق في صالح الشعب، وتلقّى أعضاء البرلمان هذا العطف الملكي بالتصفيق الحاد، والهتاف بحياة الملك المحب لشعبه.

الكاتب الكبير «محمد عودة» تحدّث عن هذه المرحلة المهمة من تاريخ مصر وقال: «لقد رحّبت البلاد، وتفاءلت واستبشرت بأن سنة ١٩٣٦م ستكون فاتحة عصر جديد بعيد عن كل سوءات العهود السابقة.. فقد رحل الملك «فؤاد»" آخر السلاطين المستبدين. وتولّى ملك شاب بريء، وتألّفت حكومة وفدية برئاسة «مصطفى النحاس» في ظل مناخ من الأمل، خاصة مع بدء المفاوضات مع بريطانيا لتسوية القضية

المصرية تسوية شاملة، والتخلص من القيود التي كانت بريطانيا تكبّل بها مصر، وتشل إرادتها وسيادتها. وتضع الأجانب فوق القانون، وتجعل من كل جالية أجنبية دولة داخل الدولة.

تَفاؤُلٌ.. ولكنْ

وهكذا سادت موجة واسعة من التفاؤل مع تولي الملك الجديد بتصحيح الأوضاع وقيام ملكية دستورية صحيحة، ولكن هذا التفاؤل لم يستمر طويلاً حيث توالت الأحداث التي دارت كلها في فلك إرضاء الإمبراطورية البريطانية التي كان الكل يسعى لإرضائها؛ الملك والحكومات المتوالية من أجل الحفاظ على مكانته، وتحقيق أكبر قدر من المكاسب، والمصالح الشخصية. ولا شيء يهم بعد ذلك.

لقد كانت كل بدايات عهد الملك «فاروق» تمهد الطريق للنهاية الحتمية بضرورة قلب الأمور كلها رأساً على عقب. ولأن الملك الصغير لم يبلغ السن القانونية لتولي العرش في ذلك الوقت فقد تم تشكيل مجلس وصاية لتولي سلطات الملك، وقد تم الاتفاق على أن يتشكل هذا المجلس من كل من الأمير «محمد علي» ولي العهد، و«عزيز عزت» باشا سفير مصر السابق في لندن، وأحد أصهار الأسرة المالكة، و«شريف باشا صبري» خال الملك.

ولكن.. ماذا يفعل الملك الصغير في هذه الفترة، وحتى يبلغ سن الرشد، ويتولى مسئولية الملك؛ هذا السؤال استغرق جانباً كبيرا من اهتمام الحكومة، ومجلس الوصاية حتى اقترح «مصطفى النحاس» رئيس

حزب الوفد، ورئيس الحكومة أن يعود إلى استكمال دراسته في بريطانيا ليؤهل نفسه لتحمل المسئولية، ولكن أمه الملكة «نازلي» اعترضت على هذا الاقتراح، ووافقها «مصطفى النحاس»، وبعد مناقشات تم الاتفاق على اقتراح النحاس بأن يستكمل الملك دراسته في مصر على يد أستاذ بريطاني شـاب يرافقه، ويصادقه ويعلمه فنون وعلوم وقضايا العصر، كمـا تم الاتفاق على أن يقوم الملك الصغير برحلة داخلية يطوف بها محافظات مصر ليتقرب إلى شعبه، وكذلك برحلة خارجية يطوف فيها عدداً من بلدان أوروبا.

وقد حرص «مصطفى النحاس» على أن يحيط الملك الشاب بالرعاية الكاملة، ويوثق علاقته به ويفرض سيطرته عليه، إلا أن هذا التقارب كان ضد رغبة أصحاب المصالح، ولهذا اتفقوا على تقويضه، والحد مـن تداعياته، وكانت المفاجأة الغريبـة حيث تم تأليف مجموعة من الفقهاء، والشـيوخ لتقديم الفتوى الدسـتورية والدينية بأن عمر الملك المسـلم يجب أن يُحسب بالسنين الهجرية، وبهذا الحساب فإن الملك بلغ سـن الرشد في يوليو سنة ١٩٣٧م بعد أن رفعوا عمره سبعة أشهر..

أميرُ المؤْمنينْ

أما الواقعة الأكثر غرابة عندما فوجئت الحكومة بأن الملك الذي لم يتعد السادسة عشرة لا يريد تتويجه دستورياً تحت قبة البرلمان، ولكن يريد بيعة دينية كخليفة للمسلمين، وأميراً للمؤمنين، وفي اليوم التالي

يَؤُمُّ جلالته صلاة الجمعة في الجامع الأزهر في احتفال كبير، وبعده يُقام احتفال عالمي يدعى له ملوك ورؤساء أوروبا لتتويجه مدنياً، واستكمالاً لهذا الموقف الغريب خرج شيخ الأزهر «مصطفى المراغي» بفتوى تقول بأن الله يرسل كل مائة عام على رأس الأمة الإسلامية مُصلحاً يجدد حياتهــا، ودينها، ويوحِّد صفوفها، وأن «فــاروق» اختاره الله وبعثه بهذه الرسالة للمائة عام القادمة!..

كمــا أعلن نقيب الأشــراف في القاهــرة أن جلالة الملك ينتهي في نسبه إلى آل البيت، وأن جده الأكبر هو «الحسين بن علي»، والسيدة «فاطمة» بنت الرســول، وأنه ورث هذا النســب النبوي عن جده من أمه «محمد شريف» باشا! كان يقف وراء هذه الحملة الغريبة لمبايعة الملك الصغير خليفة المسلمين مجموعة من أصحاب المصالح في مقدمتهم «أحمد حسنين» باشا، و«علي ماهر» باشا..

ولكن الملكة «نازلي» أم الملك الشاب حذَّرته من الطريق الذي يريدون أن يدفعوه إليه من خلال هذه الدعاوى التي حِيْكَت قبل ذلك لوالده، وطلبت منه أن يضع يده في يد رئيس الحكومة «النحاس» باشا، ويتفق مع حزب الوفد، وينسق معه، ولا يصطدم به، وقد استكمل «النحاس» باشا مهمة الملكة «نازلي»، وتقرَّب من الملك الصغير، وأخذ يوضح له الأمور، ويرشــده إلى ما تتطلبه الأوضــاع في مصر، ولكن الملك المراهق القاصر رفض نصائح «النحاس» باشا، وغضب منه غضباً شديداً لأنه أفقده حلمه في الخلافة الإسلامية، واتسعت هوة الخلاف بين الملك، ووزارة «النحاس»، ووصلت إلى طريق مســدود حتى أعلن الملك إقالة

الوزارة، ولم يكن قد مر على جلوسه على العرش خمسة أشهر، وظهر الملك القاصر متســلطاً مُصرًا على أن يملك ويحكم ضد كل القوانين، والدساتير ومهما كانت الظروف.

ومن هنا بدأت أولى خطوات الملك الشاب نحو النهاية، وهو يسير على طريق السقوط.

العَدّ التَّنازُلي

تفاصيل كثيرة تضمها الكتب، والملفات والصور المكتظة أمامي عن هــذه المرحلة من تاريخ مصر، وكلها تؤكــد بداية العد التنازلي لهذا العهد؛ لقد كانت كل مواقف وتصرفات الملك «فاروق»، وحاشيته من الأحداث الجسام التي شهدتها هذه المرحلة تتناقض مع المنطق، ومع الوضع الذي يجب أن تكون عليه؛ ناهيك عن الفساد الذي شمل كل شيء داخل القصر الملكي؛ وتوالت الأحداث. وواجهت مصر الكثير من الانتكاسات السياسية. وفي خضمها يتزوج الملك الشاب من الملكة «فريدة» في حفل أسطوري. ويقضي شهر العسل في فرنسا. وفي نفس الوقت يرســل «شاهنشــاه» إيران رسولاً يخطب شقيقة الملك «فاروق» الكبرى «فوزية» لولي العهد «محمد رضا بهلوي».

ووســط الصراعات السياسية بين مختلف الأطراف في مصر نشبت الحرب العالمية الثانية بكل تبعاتها. وتداعياتها على مصر خاصة بعد أن انحاز «فاروق» لدول المحور عاصياً بريطانيا. ولكن تطور الأحداث أجــبره على أن يعــود. ويعلن توبته ويقدم فــروض الطاعة. والولاء

لبريطانيا التي انتهزت الفرصة، وسيطرت عليه تماماً حتى أن سفير بريطانيا في مصر أكد صراحة أن الملك «فاروق» أصبح رهينة لديها يمكن تسخيره كما تريد.

وفي خضم الأحداث وظروف مصر الحرجة يستمر «فاروق» في طيشه، ويواصل سلسلة الانحلال الخُلُقي، فقد قام برحلة طويلة إلى أوروبا مع حاشيته استمرت شهرين قضى خلالها سهراته في «كازينوهات» إيطاليا، وفرنسا، وأثارت تصرفاته المبتذلة مشاعر رجال الدين حتى أن شيخ الأزهر انتقده، فقام الملك بعزله على الفور، ولأن الملكة «فريدة» لم تنجب له الولد الذي يرث عرشه، فقد اختطف فتاة كانت تستعد للزواج من محام شاب، وقرر أن يتزوجها، وأصبحت هذه الفتاة - ناريمان - زوجته الثانية، ولم يجد حرجاً من القيام برحلة عسل ثانية في أوروبا.

وامتدت فضائحه إلى الأسرة، وقررت الملكة الأم أن تقيم في أمريكا بعد جولة حافلة في أوروبا، وتزوَّجت شقيقته الصغرى دون علمه من موظف دبلوماسي مسيحي.

السُّقُوط

وتتتابع الأحداث التي تنبئ كلها بقرب النهاية حتى كان يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢م الذي اشتعلت فيه الحرائق في كل أرجاء القاهرة بينما كان «فاروق» يحتفل بولي العهد الذي رُزق به من زوجته الثانية «ناريمان». ولم يأمر المسئولين المدعوين بالانصراف لمهامهم لإنقاذ القاهرة..

وتواصلت الخطوات سريعاً على طريق النهاية حتى كان صباح يوم ٢٣ يوليو واستيقظت مصر على نبأ إعلان الثورة، وفي يوم ٢٦ يوليو ذهب القائد العام «محمد نجيب» ومعه «أنور السادات»، وسلما رئيس الوزراء إنذاراً للملك بضرورة تنازله عن العرش لولي العهد الأمير «أحمد فؤاد» على أن يغادر البلاد في الساعة السادسة من مساء نفس اليوم.

وأسقط «فاروق» عن العرش لأنه لم يعرف كيف يصونه.


مع والده الملك فؤاد


الصورة الرسمية

يدير شئون الدولة

مع الملك عبد العزيز
آل سعود



مع شقيقتيه

طفل وسيم

زوج وأب

نجيب الريحانى

□ أبكانا ضحكاً.. وأضحكنا بكاءً



- ترجم معظم أعمال «موليير» وقدمها في مسرحياته
- عايَرَتُـهُ «بديعة مصابني» بأنهـا صاحبة فضل عليه فطلقها
- الدنيا على كف عفريت أضاعت منه البكاوية
- رغم حياته البائسة ظل هدفه الأول إضحاك الناس
- رحل قبل أن يشاهد قمة إبداعه في غزل البنات

لم يكـن «نجيـب الريحانـي» فناناً عادياً، بـل كان من طراز خاص، جمع في أدائه قدرة عجيبة ربما لم يتميز بها سواه.. كان حين يضحكنا يبكينا أيضاً، وفي نفس اللحظة جمع الابتسامة مع الألم، حتى صوته جمع في نبراته الحزن والفرح معاً.

وأنا أعد هذا الكتاب فرض اسمُ «نجيب الريحاني» بين صفحات نجومه بتراثه الفني الذي مازال باقياً ومؤثراً في مختلف الأجيال، فرغم مرور قرابة الستين عاماً على رحيله مازلنا نلتف حول أعمال هذا الفيلسوف الكوميدي الضاحك الباكي صاحب مدرسة الكوميديا الأولى في العالم العربي، مازالت أفلامه ومسرحياته تدرس، وتلاميذ «الريحاني» في كل مكان يسيرون على نهجه ويحفظون له العهد.

إسمـه الحقيقـي هو: نجيب أبـو إلياس ريحانة، ولد سـنة ١٨٩٠في حـارة «درب مصطفى» بباب الشـعرية بالقاهرة من أب ينحـدر مـن أصل عراقي كان يشـتغل بتجارة الخيـول. أما أمه فكانـت مصريـة من «نجع حمادي» بصعيد مصـر.. أدخله والده مدرسـة الفرير الفرنسية، وكان لهذه الدراسة أثر كبير في حياته، حيث أتقن اللغة الفرنسية التي كانت أحد أسباب شهرته الفنية، فقد ترجم معظم أعمال الكاتب الفرنسي الساخر «موليير» وقدمها في مسرحياته حيث أثرت أعمال هذا الكاتب على شخصية الريحاني بشكل كبير.

لقد عشـق «نجيب الريحاني» فـن التمثيل منذ التحق بفرقة المدرسـة، ولم يغادره هذا العشـق حتى بعد تخرجه من مدرسة

الفرير وتعيينه موظفاً في بنك التسليف الزراعي، وفي نفس الوقت عمل ممثلاً في بعض فرق الهواة، ولأن هذا العمل كان يستوجب ســهره إلى ســاعات متأخرة من الليل مما اضطره إلى التغيب عن العمــل أياماً كثيرة، فكانت النتيجــة أنه تم فصله من وظيفته، وهنا أصر خاله على أن يصطحبه معه إلى صعيد مصر حتى يبعده عن القاهرة وأجواء التمثيل لكنه كان يسلك كل الطرق ليعود إلى القاهــرة حتى نجــح عن طريق بعض الأصدقــاء في أن يعود مرة أخرى للعمل في بنك التســليف الزراعي، وهنا لعب القدر لعبته فقــد كان زميله المجاور له في المكتب هو «عزيز عيد» وهو أيضاً عاشــق التمثيل، فجمع بين الاثنين التواجد في مكان عمل واحد مع هواية التمثيل، وكان لابد أن يســعى الاثنان لإشــباع هذه الهواية، فكانا يذهبــان إلى دار الأوبرا ويعملان «كومبارس» مع الفرق الوطنية في المســرح، وسَــرعان ما التحقا بالعمل في بعض الفرق المســرحية، وللمرة الثانية تم فصل «نجيب الريحانى» من العمل في بنك التسليف الزراعي، ومعه أيضاً زميله «عزيز عيد»..

وهكــذا فقد الأمــل في العودة إلى العمــل الوظيفي رغم محاولات ووســاطات خاله الكثيرة، وأيضاً جهوده لإثناء ابن شقيقته عن السير في طريق التمثيل والعمل مع المشخصاتية، ولكن «نجيب» كان قــد اختار هذا الطريق حيث التحق بفرقة «إســكندر فرج» إلا أنــه تركها بعد أســابيع قليلة ليعمل في فرقــة ثانية، ثم في فرقــة ثالثــة. ويقال إنه عمــل في جميع الفرق المســرحية التي

كانـت موجودة في ذلـك الوقت. ولكن ولأن هـذه الفرق كانت تسـند إليه بعض الأدوار الكوميديـة القصيرة قرر أن يكون فرقة خاصة لحسابه.

مسرح في جراج

ومن هنا كانت بداية مشـوار «نجيـب الريحاني» الفعلي مع فـن التمثيل، هذا المشـوار الذي بذل فيه كل جهده واسـتغرق سـنوات عمره كلها.. كسب كثيراً، وخسـر كثيراً أيضاً لكنه في الحالـة الأولى لم يتعال على الفـن، وفي الحالة الثانية لم يتنازل عن الفن. فعندما فكر أن تكون له فرقة مسرحية خاصة به كانت المشـكلة الأولى هي وجود المكان الذي تعمل عليه الفرقة. ونظراً لضيق ذات اليد لم يجد لهذه المشـكلة سوى أن يؤجر جراجاً في حي الفجالة، ويحوله إلى مسـرح كانت خشبته عبارة عن بعض الطاولات المرصوصة بجوار بعضها، أما الكراسـي فقد كان على كل مشـاهد أن يحضر كرسـيه معه. وأول مسرحية قدمها على هذا المسـرح بعنوان «خللي بالـك من إبليس» وأخرجها له زميل عملـه في البنك «عزيـز عيد»، وكان إيـراد كل ليلة لا يزيد عن ٥٠ أو ٦٠ قرشـاً يقسـم مناصفة بعد خصـم المصروفات وإيجار الجراج، وكان طبيعياً ألا تسـتمر هذه التجربة لفترة طويلة فبعد حوالي شهر ونصف اضطر «نجيب أبو إلياس ريحانة» إلى إغلاق أبواب هذا المسرح والعودة للعمل في بعض الفرق الأخرى. وبمرور

الوقت أخذ اسمه يلمع كممثل كوميدي فريد خاصة بعد أن ابتكر شخصية أطلق عليها اسم «كشكش بيه» «عمدة كفر البلاص»، تلك الشخصية التي أظهرت عبقرية هذا الفنان، والتي انتقد من خلالها الأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع في ذلك الوقت؛ فـ«كشكش بيه» عبارة عن شخصية عمدة في الأرياف يبيع محصول القطن، وينزل إلى القاهرة ليروح عن نفسه في الملاهي الليلية، وقد أحبه الناس في هذه الشخصية وحقق من خلالها نجاحاً كبيراً وارتبط باسمه على مدى حوالي ١٣ سنة، ومعها اختار «نجيب أبو إلياس ريحانة» اسمه الفني الذي اشتهر به وهو «نجيب الريحاني».. ويتواصل النجاح حتى قرر أن يُكون فرقة تمثيلية تحمل اسمه الجديد، وقد حققت هذه الفرقة بعض النجاحات إلى أن قدمت مسرحية بعنوان «حَمار وحلاوة» جاءت بإيرادات خيالية لم يسبق أن شهدها المسرح في ذلك الوقت، وبعد هذه المسرحية التقى «نجيب الريحاني» بالكاتب المؤلف «بديع خيري»، واستمر التعاون الناجح بينهما على مدى خمسة وثلاثين عاماً قدما خلالها عدداً كبيراً من المسرحيات الهادفة التي تعري المجتمع وتفضح مشاكله.

مواقف محزنة

وعلى رغم الكم الكبير من المسرحيات والأفلام الكوميدية التي قدمها «نجيب الريحاني» فإن المقربين منه كانوا يعرفون أنه يحمل

أحزانــاً كثــيرة، وأن هذا الفنان الذي يُضحــك الناس لم يجد من يضحكــه، فقد كانت حياته مليئة بالمواقف المحزنة، وكانت أول هــذه الأحزان عندما طردته عائلته مــن البيت لأنه عمل بالتمثيل حيث كان الممثل في ذلك الوقت ليس له قيمة في المجتمع، ويُنظر إليه نظرة دونية، فعاش «نجيب» بعيداً عن أسرته يترقب أخبارها من الجيران والأصدقاء، وقد شاءت الأقدار أن تغير موقف الأسرة، وذلك عندما كانت أمه جالســة في «الترام» فســمعت مجموعة من النــاس يتحدثون عن ابنها «نجيــب الريحاني» وإبداعاته، وأثنوا عليه كثــيراً، فتأثرت أمه كثيراً بالعبــارات التي سمعتها فقامت وقالــت للركاب بــكل فخر واعتزاز إن «نجيــب الريحاني» الذي تتحدثون عنه هو ابني، ومنذ ذلك اليوم عاد الريحاني إلى أحضان أمــه التي لم تعش معه طويــلاً في قصره الذي امتلكه بحي حدائق القبة.. وماتت.

نساءٌ في حياته

قدم «الريحاني» أول مســرحية استعراضية هي «حَمار وحلاوة» فحققت المســرحية نجاحاً كبيراً واشــتركت معه الفنانة والراقصة الفرنســية «لوسي» التي أحبها «الريحاني» حباً عنيفاً إلا أنها بعد عرض المســرحية عادت إلى فرنسا واختفت من حياته، وسافر إلى فرنسا ليعود بها لكنه فشل وظل يحمل حبها في قلبه وكان يبكي كلما سمع اسمها أو شاهد صورتها.

وكان «الريحاني» شـديد الاعتزاز بنفسه، يحافظ على كرامته، فقد عرضت عليه «بديعة مصابني» العودة إليها بعد انفصال دام أكثر من ١٥ عاماً حيث تعرفت عليه "بديعة" وقدمت معه مسـرحيات «الليالي الملاح» و«الشـاطر حسن» و«أيام العز»، إلا أن «الريحاني» قدم مسرحية «ريا وسكينة» ولكن المسرحية فشلت فوقفت «بديعة» مـع «الريحاني» وفرقته وأمدته بالمال فتزوجها «الريحاني» إلا أن «بديعة» ذكرته بأنها صاحبة فضل عليه فرفض «الريحاني» العودة إليهـا وطلـق «الريحاني» «بديعة» قبل وفاتـه بعامين ولم ينجب منها أولاداً.

«البكاوية» على كف عفريت

ومـن المواقـف الغريبة والمؤلمة الـتي أثرت كثيراً في نفسـية «نجيـب الريحاني» عدم حصوله علـى «البكاوية»، فعندما منح الملك «يوسـف وهبي» لقب البكاوية شعر نجيب الريحاني بكثير من المرارة بسـبب هذا التجاهل لدوره الكبير الذي كان يؤديه في خدمة المسـرح من أجل إسـعاد الجماهير، وأحـس بهذه المرارة صديقـه وزميله «سـليمان نجيب» الذي كانت لـه علاقة طيبة بالقصـر الملكي فاسـتطاع إقناع رجال القصر بـأن يقدم «نجيب الريحانـي» فصلاً من فصـول إحدى مسـرحياته بالقصر الملكي في عابدين، وكان «أحمد حسـين» باشـا رئيـس الديوان في ذلك الوقت مقتنعاً هو و«سليمان نجيب» بأن الملك سينعم على «نجيب

الريحانـــي» برتبة «البكاويـــة» بعد تقديم هذا العـــرض. واختار «الريحاني» تقديم الفصل الثاني من مســـرحيته «الدنيا على كف عفريت» الذي يعرض تفاصيل الحياة المتواضعة والبسيطة جداً في الحارة المصرية، وبكل ما يحدث فيها خلال حياة أهلها المعيشية اليومية، ولم يعجب هذا الملك. وذهب «ســـليمان نجيب» ليؤنب «نجيب الريحاني» على ســـوء اختيـــاره، وأنه بذلك أضاع فرصة الحصول علـــى «البكاوية»، فقال «الريحانـــي»: إن الملك يعيش حياته وســـط القصـــور والأندية التي يذهب إليها عابراً الشـــوارع العامـــة والميادين ولا تُتاح لـــه الفرصة أن يدخل إحدى الحواري الشـــعبية التي تعيش فيها الغالبية العظمى المطحونة من شـــعبه الذي يحكمه، وقد قصـــدت تقديم هذا الفصل حتى يعرف الملك شعبه على حقيقته.

وبالفعل لم يحصل «الريحاني» على «البكاوية». وقد علق على ذلـــك قائلاً: «إنني لا تهمـــني «البكاوية» ولا زعـــل الملك.. المهم عنـــدي هو رضاء الناس والجماهير». وكانت هذه الواقعة دافعاً أن يؤلف مع «بديع خيري» مسرحية «حكم قراقوش» التي صور فيها ظلم الحاكم المستبد وثورة الشعب عليه.

حافظ القرآن

مواقـــف غريبة كثيرة تضمها حياة هذا الفنان العبقري. فعندما اختفى أخوه الأصغر «جورج الريحاني» حزن حزناً شـــديداً. وظل

يبحـــث عنه مدة طويلة إلا أنـــه لم يعثر عليه.. وقد مات «نجيب الريحاني» قبل أن يكتشف سر اختفاء أخيه الذي عرفته الشرطة فيما بعد، حيث اعتنق جورج الإسلام وغير اسمه إلى «محمد الريحاني» ولذلك هرب خوفاً من غضب الأســرة و«نجيب الريحاني».. ولكن «جورج» لو كان قد عرف موقف أخيه الأكبر «نجيب» من الإسلام ما خـــاف وما هرب؛ لقد حفــظ «نجيب الريحانـــي» القرآن بعد أن قرأه مترجماً باللغة الفرنســية عدة مــرات، وكثيراً ما قال إنه تعلــم من القرآن الصــبر والحكمة، والزهد في الدنيــا، وذات يوم ذهب للإمام المراغي شــيخ جامع الأزهر فســمع صوتاً جميلاً يقرأ القرآن فسأل عن هذا الرجل فقالوا له: إنه الشيخ «محمد رفعت»، فبدأ يوالي سماع القرآن من الشــيخ «محمد رفعت» بمسجد «درب الجماميــز» وأصبح صديقاً حميماً له وكان يقضي معه معظم أوقات فراغـــه حتـــى أن الكثيرين اعتقدوا أن «نجيـــب الريحاني» دخل الإسلام قبل وفاته.

غزل البنات

ولأن العصـــر الذي عاش فيه نجيـــب الريحاني كان زمن الفن الجميـــل، فقد كان يتابع رحلة صعود ليلـــى مراد وأنور وجدي، وكثيراً ما تمنى أن يشاركهما أحد الأفلام، وفي لقاء صنعته الصدفة تقابل «الريحاني» و«ليلى مراد» على سلم العمارة التي كانا يسكنان فيها، وبعد تبادل التحية وكلمات الإعجاب المشــتركة بينهما قال

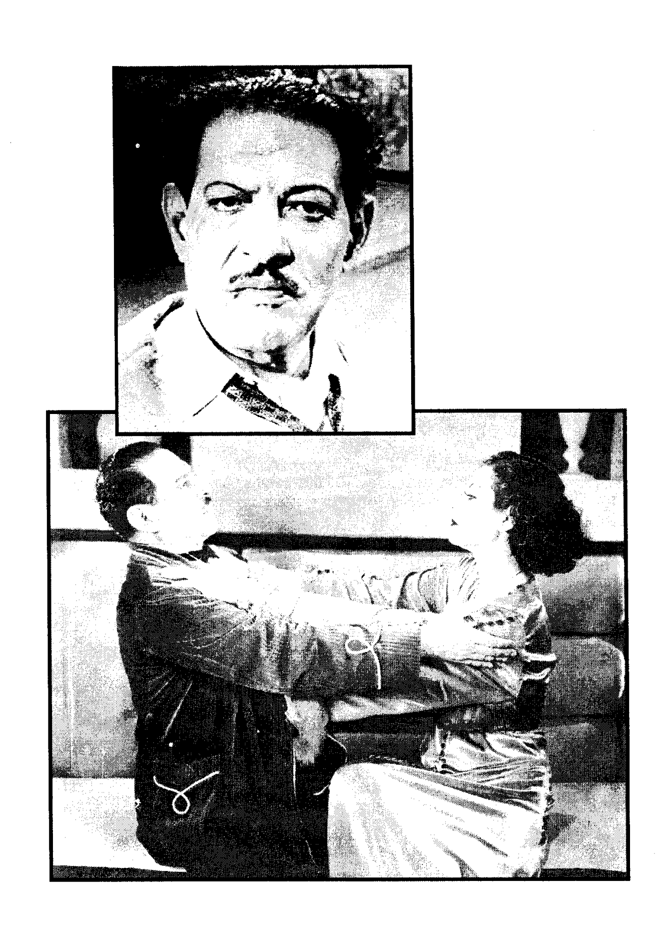
الريحاني لليلى مراد: «نفسي أعمل معاكي فيلم ..» فردت على الفور وقالت: «وأنا كمان يا أستاذ..»، وافترقا ثم ذهبت ليلى مراد لتزف الخبر في فرحة لأنور وجدي الذي التقطه بعقلية التاجر الشامي الشاطر، وأسعده أن ينضم الريحاني صاحب الجمهور الكبير إلى فيلمه الجديد «غزل البنات» واستطاع الريحاني في هذا الفيلم أن يجمع بين النقيضين؛ البسمة الحانية والدمعة الساخنة في أداء عبقري تؤرخ له السينما العربية، ويضاف إلى سجله كأحد عباقرة التمثيل، فكان هو الممثل الوحيد الذي أبكانا ضحكاً وأضحكنا بكاءً..

وقد شاءت الأقدار أن يرحل «نجيب الريحاني» عن دنيانا دون أن يشاهد آخر إبداعاته «غزل البنات»..



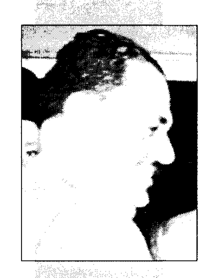
أستاذ حمام
نحن الزغاليل





فؤاد سراج الدين

❑ آخر باشوات مصر



- معركته ضد الإنجليز أصبحت عيداً للشرطة
- صنع سيجاراً من الخشب .. فأمر عبد الناصر باعتقاله
- الباشا اضطر لبيع مقتنياته وأثاث منزله ليعيش
- ربطته علاقات حميمة حتى مع من خالفوه الرأي
- لماذا وصف ثورة يوليو بالانقلاب العسكري؟

قد لا يعرف الكثيرون من شـباب هذا الزمن من يكون الباشـا «فؤاد سـراج الدين» وتاريخه السياسي والحزبي؟، وربما بعضهم قد سمعوا باسمه رغم أنه قد يكون السياسـي العربي الوحيد الذي تميز عن غيره من السياسـيين العرب باستمراره في ممارسة العمل السياسـي ووقوفه تحـت أضوائه على مدى أكثر من سـتين عاماً كاملـة، عاصر خلالها الكثـير من الأحداث وكانـت له صولاته وجولاته السياسـية والحزبية الجريئة طوال تلك السـنوات التي وضعته في مكانة بارزة وسط السياسيين المصريين..

أوراق وملفـات كثيرة اطلعت عليها، وأسـئلة عديدة طرحتها على من عايشـوا فؤاد سـراج الدين عن قرب، كما اسـتعنت من أرشـيفي بأحاديث صحفية أجريتها معه، ووجدت كل هذا وذاك يقف إلى جانب الرجل كسياسـي شـجاع في الحق لا يخاف فيه لومة لائم، مثلما كان شجاعاً في المواقف لا يرهب عواقبها..

فمشـوار فؤاد سراج الدين الطويل خاض خلاله أكثر من معركة في أكثر من ميدان وتقلد العديد من المناصب بدأت في ميدان القضاء بالعمل بالمحاماة بعد تخرجه من كلية الحقوق إلى أن أصبح وكيلاً للنائب العام عام ١٩٣٢.

يـراه البعض ظاهرة سياسـية في تاريخ مصـر المعاصر منذ أن بدأ مشـواره السياسـي مبكراً عام ١٩٣٦ كنائب لامع عن حزب الوفد في البرلمان المصري. وكان سـنه أقل أربع سـنوات عن السن

القانونيــة لعضوية المجلس، ثم عضواً بمجلس الشــيوخ ثم زعيماً للمعارضة الوفدية وعضواً بالقيادة العليا لحزب الوفد ثم ســكرتيراً عاماً للحزب عام ١٩٤٨..

وبرغم أن فؤاد سراج الدين كان من جناح كبار الملاك في حزب الوفــد، وتبدو على مظهره العظمة والفخامة إلا أنه لم يكن متعالياً في ســلوكه مع المحيطين به ومع من هم أقل منه كثيراً في المنزلة، كمــا كان منكراً لذاته، ويذكر أنه عندما اضطر «مصطفى النحاس» أن يقيم هو وزوجته في بيت «فؤاد سراج الدين» خصص له الجناح الأكبر في البيت، ورغم تبرم الســيدة حرم ســراج الدين من زيادة المصاريف بســبب كثــرة زوار النحاس والولائم الــتي كان يقيمها إلا أن فؤاد ســراج الدين قال: «إن النحاس باشــا عندما كان ضيفاً في بيتى لعدة شهور هو الذي كان يصرف على البيت وحين كنت أخجل من ذلك كان يرفض ويصر على أن يصرف.

ضد الملل

تاريخ فؤاد سراج الدين السياسي حافل بالمواقف، فعندما عُين وزيراً للداخلية عام ١٩٥٠ شــهدت فترة ولايته حرية غير مسبوقة للصحافة وسيادة الحريات، ورغم سطوة الملك ورجال القصر الملكي وسيطرتهم على تسيير الأمور إلا أن الأوراق والمستندات وشهادات الشهود تؤكد أن فؤاد سراج الدين – وعكس بعض ما قيل – كانت

له مواقفــه الحازمة، ومعاركه الضارية مع الملك ورجال القصر من أجــل المصلحة الوطنية، حتى أنه ذات يــوم قام بمحاصرة قصر عابدين برجال الشــرطة للقبض على أحد المقربين من الملك، وهدد رئيس الديوان الملكي باقتحام الشرطة للقصر لو لم يتم تسليم الشخص المطلوب القبض عليه، كما رفض سفر راقصة مشهورة من المقربات من الملك «فاروق» للاشتراك في مسابقة في أوروبا حفاظاً على سمعة مصر، وتؤكد كثير من الوثائق أن فؤاد سراج الدين هو صاحب قرار مجانيــة التعليم الذي أصدرته حكومة الوفد عام ١٩٥٠.. كما كان أول مــن طالــب بإلغاء معاهــدة ١٩٣٦ مع بريطانيــا، بل إنه هو الذي صاغ العبارة الشــهيرة التي أعلنها مصطفى النحاس باشا في أكتوبــر عام ١٩٥١ عن إلغــاء المعاهدة أمام البرلمان «من أجل مصر وقعــت المعاهدة، ومن أجل مصر أطالبكم اليــوم بإلغائها».. وبعد إلغاء المعاهدة تولى ســراج الدين مســئولية الإشــراف على تدريب الفدائيين ورجال المقاومة ومســاعدتهم بالأسلحة حيث كان يشغل منصب وزير الداخليــة ودخل مع الإنجليز في معركة الإسماعيلية الشهيرة في ٢٥ يناير ١٩٥٢ عندما حاصرت قوات الاحتلال مبنى محافظة الإسماعيلية بعشــرات الدبابات و٣٠٠٠ جندي وطالبت الشــرطة المصرية بإلقاء السلاح والاستســلام، وحينما اتصل أحد الضباط بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين يسأله عن التعليمات أمره بعدم الاستســلام وقال له: «إن شــرفنا هو رد العدوان لآخر طلقة في أيدينا..»

وقــد اعتبرت هذه المعركة الخالدة رمزاً لصمود رجال الشــرطة وأصبح تاريخها عيداً للشرطة حتى يومنا هذا..

وفي اليــوم التالــي لمعركة الإسماعيلية اندلــع حريق القاهرة في الســاعة الثانية عشــرة وســبع وعشــرين دقيقة ظهراً، ووجهت الاتهامات إلى حكومة الوفد بمسئوليتها عن الحريق، بينما كشف سراج الدين حقائق أثبتت ضلوع أيادٍ معادية لحزب الوفد وتهدف إلى إجهاض الحركة الوطنية باندلاع الحريق وحمَّل الجيش والقصر الملكي المسئولية ..

ويؤكــد الكثير من المؤرخين أن معركة الإسماعيلية التي أعقبها حريق القاهرة كانت الدافع الأساسي للتعجيل بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث دفعت بطولة رجال الشــرطة دماء الحماس في عروق رجال الجيش، وفي نفس الوقت استفزتهم مشاهد الخراب والدمار الذي آلت إليه القاهرة في أعقاب الحريق.

في سجون الثورة

هناك من المواقف والأحداث ما يؤكد اعتراف الجميع - الخصوم والموالين - بوطنية فؤاد سراج الدين ومكانته الرفيعة وسط السياسيين المصريين، فرغم أن رجال ثورة يوليو كان في مقدمة أهدافهم الإطاحة بــكل رمــوز عصر ما قبل الثورة إلا أنهم عندمــا قاموا بالثورة كان «فؤاد ســراج الدين» يصطاف في سويسرا، وقرر قطع إجازته وعاد

إلى القاهـرة، فذهب إليه جمال عبد الناصـر وطلب منه أن يتولى حزب الوفد السلطة ويتحالف مع الجيش من أجل هدف التحرير الأسمى، واشـترط عبد الناصر على الباشـا أن يوافق الحزب على الإصـلاح الزراعي، وقد وافق سـراج الدين على القانون من حيث المبدأ، ولكنه اختلـف في التفاصيل، ومن هنا توترت العلاقة بين فؤاد سراج الدن ورجال الثورة، وسرعان ما تحول التوتر إلى كراهية دامت ٢٩ سـنة، ودفع ثمنها الباشا من بعض سنوات عمره التي قضاها خلف أسـوار المعتقلات والسجون بالإضافة إلى الإساءة إليه من مختلف وسـائل الدولة الإعلامية والأمنية.. فبعد مرور شـهر ونصف على قيام ثورة يوليو وفي الخامس من شـهر سبتمبر ١٩٥٢ تم اعتقاله لمدة أربعة شهور، لم يكد يفرج عنه في شهر ديسمبر من نفـس العام حتى اعتقل مرة أخـرى في يناير عام ١٩٥٣، وطالت فترة اعتقاله هذه المرة إلى ثمانية شهور قضاها في السجن الحربي، وبعـد حوالي أربعة شـهور من الإفراج عنـه وفي يناير عام ١٩٥٤ قُـدِّم ومعه عدد من أقطاب حزب الوفد إلى المحاكمة، وحُكم عليه بالأشـغال الشـاقة المؤبدة لمدة ١٥ عاماً، ورغم أنه تم الإفراج عنه في بدايـات عـام ١٩٥٦ إلا أنه ظل نزيلاً على المعتقلات بين فترة وأخـرى حيث اعتقل ثلاث مرات بعد ذلك في عهد عبد الناصر، ثم كان اعتقاله لآخر مرة في عهد السـادات فيما عرف باعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ التي جمعت ١٥٣٦ معتقلاً من رموز مصر وكان اسم فؤاد سراج الدين في مقدمتهم..

ويؤكد الذين اقتربوا من فؤاد سراج الدين أنه كان سريع البديهة ويتمتع بذكاء حاد، فمنذ اعتقاله ضمن اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ التي ضمت كل ألوان الطيف السياسية من العديد من التيارات، ناداه ذات مرة أحد زملاء العنبر «يا فؤاد باشا»، وهنا غضب زميل آخر لهم في العنبر وهو كمال أحمد المحامي وصاح قائلاً : «باشا إيه؟ الباشاوية اتلغت من زمان .. اللي عايز يناديه يقوله يا أستاذ فؤاد ..» فرد عليه فؤاد سراج الدين بسرعة: «عندك حق يا كمال باشا..»

وفي السجن أيضاً اقترب فؤاد سراج الدين باشا من العديد ممن يخالفونه الرأي والتوجه السياسي مثل الكاتب الكبير «صلاح عيسى» المعروف بتوجهه الناصري، ورغم خلافهما هذا إلا أن «صلاح عيسى» اقترب كثيراً من الباشا طوال فترة حبسهما لتمتد العلاقة الحميمة بينهما خارج أسوار السجن، ووصلت حميمية هذه العلاقة إلى حد أن «صلاح عيسى» ألف كتاباً كاملاً عن فؤاد سراج الدين، وذكرياتهما معاً وضمنه الكثير من الآراء الإيجابية عن فؤاد سراج الدين وهو ما يؤكد قدرة الباشا على كسب الأصدقاء مهما اختلف معهم في الآراء أو السياسات .

السجن بسبب سيجار من الخشب

غريبة هي بعض الروايات التي سمعتها عن أسباب اعتقال فؤاد سراج الدين، لعل أكثرها غرابة تلك التي رواها الكاتب

الكبير سـعيد عبد الخالق كما سمعها من الباشا نفسه، ففي عهد جمـال عبد الناصـر عانى من ضائقة مالية بعد أن سـلبت أمواله وممتلكاته، فلم يعد يملك ثمن شـراء السيجار الذي اعتاد تدخينه ولم يكن يفارق يده إلا نادراً، ولذلك وحتى يوهم نفسه فقد استطاع باسـتخدام آلـة حادة أن يهذب عصا حتى أصبحت على شـكل سيجار، واعتاد إمساكها بيده، وفي أحد أيام شهر نوفمبر من عام ١٩٦٥ توجه إلى نادي الجزيرة، وفي يده قطعة العصا التي تشـبه السـيجار، وجلس في الحديقة وتناول فنجان قهوة، وتصادف بعد ذلك أن التقى جمال عبد الناصر بأحد رواد نادي الجزيرة وسأله: إيه أخبار فؤاد سراج الدين؟ هو لسة بيقعد في نادي الجزيرة ولسة بيدخن السيجار؟ فأجاب الرجل: نعم يا فندم لسة بيقعد في نادي الجزيرة ولسة بيدخن السـيجار. وهنا غضب عبد الناصر بشدة. واتصـل علـى الفور بزكريا محيـي الدين وزيـر الداخلية في ذلك الوقت وطلب منه اعتقال فؤاد سـراج الدين لأنه «لسة معاه فلوس وبيدخن سيجار».. وتم اعتقال فؤاد سراج الدين وقضى أسبوعاً في السجن الحربي..

لقد عاني الباشـا فؤاد سـراج الدين من شظف العيش في عهد جمال عبد الناصر حيث تعرض لضائقة مالية بعد أن سلبوه أملاكه ولم يعد له دخل سوى معاشه..

وعـن هذه الفـترة يقول الكاتب الصحفي سـعيد عبد الخالق: لقد اضطر فؤاد سـراج الدين بعد اغتصاب ممتلكاته إلى بيع سجاد

و«فازات» منزله وكذلك الكرافتات التي كان يملكها، كما اضطر إلى بيع التحف وبعض الأثاث حتى يعيش، والأكثر من ذلك عدم قدرته على تفصيل بدلة واحدة واضطراره إلى تضييق البدل بعد خروجه من المعتقل، والتنبيه على الترزي بأن يترك الزيادة في البدلة حتى يقوم بتوسيعها عندما يسترد عافيته، وقد استمر هذا الحال حتى استرد فؤاد سراج الدين بعض أملاكه في عهد الرئيس الراحل أنور السادات.

الإعدام

من المؤكد أن علاقة الباشا بثورة يوليو مرت بمراحل مختلفة من التوتر وعدم الثقة، فقد سجن عدة مرات في عصر عبد الناصر، كما تعرض لموجة من الهجوم الشديد من الرئيس السادات حتى أنه عند عودة حزب الوفد إلى الساحة السياسية أوعز البعض إلى الرئيس السادات بأن فؤاد سراج الدين بعد أن ازدادت شعبيته بدرجة كبيرة كرئيس لحزب الوفد الجديد يسعى إلى الوصول إلى منصب رئيس الجمهورية، وهنا شن السادات حملة على الحزب ورئيسه لدرجة أنه قال إن ثورة يوليو أخطأت عندما لم تعدم فؤاد سراج الدين، وفي نفس الوقت دعا السادات إلى استصدار قانون يبيح تطبيق العزل السياسي على الذين تولوا مناصب قبل الثورة، كما يتيح حل الأحزاب وعزل قياداتها. وهنا دعا سراج الدين

إلى اجتماع الهيئة العليا لحزب الوفد والتي قررت في شـــهر يونيو عام ١٩٧٨ تجميد حزب الوفد الجديد..ومرت الأيام وسماء العلاقة بين الســـادات وفؤاد سراج الدين ملبدة بالغيوم حتى تم اعتقاله في ســبتمبر ضمن ١٥٦٤ شخصية تم اعتقالهم في ليلة واحدة، وحتى أفرج عنه الرئيس حسني مبارك في شهر نوفمبر من نفس العام بعد رحيل السادات..

وبعد حوالي عامين عاد فؤاد ســراج الدين لنشــاطه السياســي حين أصدر في شــهر أغســطس من عام ١٩٨٣ قــراره بإلغاء قرار تجميــد الحزب وصدرت جريدة الوفد في شــهر مارس عام ١٩٨٤ لتنطلق كأشهر جريدة حزبية معارضة في مصر في ذلك الوقت.

حوار مع الباشا

لقد جذبتني شــخصية فؤاد ســراج الدين وأردت الاقتراب منه بإجــراء حديث صحفي معه، فلجــأت إلى الكاتب الكبير «جمال بدوي» أثناء رئاسته لتحرير جريدة الوفد والذي تربطني به علاقة وطيدة، وطلبت مساعدته في تدبير موعد مع الباشا..

وعندمــا التقيــت به لفت نظري من اللحظــة الأولى أنه على الرغم من قوة شــخصيته فإنه يســتطيع أن يخلق لديك انطباعاً بالبســاطة والتواضع، بل إنه يســتخدم أثنــاء حواره الكثير من القفشــات والتعبيرات اللاذعة المهذبة التي تخلق جواً من المودة

والألفـة وتزيل حواجز اللقاء مع شـخصية بحجم «فؤاد سـراج الدين»..

يومها سألته سـؤالاً مباشراً : لماذا تكرهون في الوفد ثورة يوليو وتهاجمونهـا، بل إنك شـخصياً كثيراً ما وصفتهـا بأنها انقلاب عسكري؟

رد بهدوء : نحن لم نكن يوماً ضد ثورة يوليو باعتبارها حدث له آثاره سياسياً واجتماعياً، بل إننا أيَّدناها منذ اليوم الأول، وفور قيامها عدت أنا والمرحوم «مصطفى النحاس» من «جنيف»، وكان الملـك لا يزال على العرش لنؤيد الثـورة في مواجهة الملك، وقبلها أرسـلنا نقول لأعضاء حزب الوفد إننا مع الثورة فأيدوها، أما عن مقولتي بأنها انقلاب عسـكري فلأن الثورة تبدأ من الشـارع على نحو ما حدث في ثورة ١٩١٩، ولم يكن بوسعي الاستمرار في تأييد هـذه الثورة أو الحركة أو الانقلاب في ظـل ما ارتكبته من أخطاء وخطايا.. ومن هنا كان الصدام ..

وقبل أن أختتم هذه السـطور عن الراحل «فؤاد سـراج الدين» اسـتوقفتني هذه الكلمات التي نقلتها عـن الكاتب الكبير الراحل «مصطفـى أمين» والتي يقول فيها إن الرئيس السـادات طلب منه أن يكتـب مقالات ضد «فؤاد سـراج الدين» وحـزب الوفد إلا أنه رفض قائلاً: إنني إذا هاجمت الوفد ورئيسه فإنني سأحقق عكس غرضـك، وسـأقويهم لأن الناس تعطف على الـذي تهاجمه دون

سـبب.. ولقـد كتبت أهاجم الوفـد في الماضي عندمـا كان يملك أربع عشـرة جريدة ومجلة أسبوعية.. أهاجمه فترد صحافته على هجومي، أما اليوم فأنا لا أسـتطيع أن أهاجم من لا يملك الدفاع عن نفسـه، وأنا أعتبر الصحافة فروسية.. تهاجم الرجل وهو فوق حصانه، فإذا وقع عن حصانه أوقفت الحرب عليه.



الباشا
في صباه



مع مصطفى النحاس باشا



يترافع فى المحكمة

مع ابنتيه

عبد الحليم حَافِظْ

❑ جِسْرُ التنهُّدات



- «حليم» أول فنان أرّخ حياته بالصور
- سر الوشاية الخبيثة التي أغضبت ملك المغرب من العندليب
- أحبَّ مرَّة واحدة، والحالات الأخرى وهْمٌ عاشه «حليم»
- أحضَروا المأذون لعقد قِرانه على «سعاد حسني»، ولكن..
- اشترى لها الهدايا بسخاء فأشاعوا أن زواجهما اقترب

كـم مرة كتب الصحفيون، والكتاب عن «عبد الحليم حافظ»؟..
لا أحد يعرف، ولا يمكن إحصاء حجم ما أثاره هذا النجم الراحل من موجات متتالية ومتناقضة من الجدل، أَحَب هذه.. وتَزَوّج تلك.. إلى آخر رحلات الغوص في أعماقه الإنسانية، وسَبْر أغوار هذا الفتى الذي كان يحيطه الغموض، وفضول الآخرين، لكن الشيء الوحيد الـذي اتفق عليه الجميع هو موهبته، هـو صوته الدافئ الحنون، وإحساسه المرهف، وتفانيه في إتقان أغانيه وأعماله.

وبعد أن رحل العندليب تاركاً ثروة فنية لا تزال ملايين الآذان العربيـة تسـتمتع بها، ولا تزال العديد مـن الأجيال تعيش على ضفـاف حُنجُرته، ولا يزال صـوت «حليم» أحد أهم رموز «الزمن الجميل».. فإن رحيل العندليب قد أطلق العنان للبعض أن يختلق لنفســه أدواراً، وأسـراراً لا يعرفها سـواه، واقترابـاً من الحدث وأطرافه بأكثر مما اقترب منه الآخرون، وأصبحت سيرة، ومسيرة «عبد الحليم حافظ» «سـبوبة» يلجأ إليها مجموعة من «الأرزُقيّة» والطُفَيْليين، وهذا أمر كثيراً ما يحدث عندما يموت أحد المشـاهير فيظهر بعده «الكومبارس» يُسهبون في شرح أدوارهم معه، وتتحول تلـك الحكايـات إلى صفحات في الصحف، والمجـلات ويُضاف إليهـا كلَّ عام المزيـد، والمزيد عند الاحتفـال بذكرى رحيل هذا المشـهور وهو ما يتكرر كل عام في ذكرى العندليب، ولكن كل هذا لا ينفـي أن هنـاك كتابات جادة، وموضوعية لكتاب وأشـخاص اقتربـوا بالفعل مـن العندليب الراحل. وعايشـوا الأحداث مثل

«مفيد فوزي»، و«مجدي العمروسي»، و«محمود عوض»، و«عصام بصيلة»، و«نبيل عصمت»، و«فوميل لبيب»، وآخرين غيرهم.

وعندما أخذت أُقلِّب في أرشيف صوري الزاخر جداً بلقطات نادرة للعندليب الأسمر، وكذلك ما كتبته مجموعة من كبار الكتاب، أدركت أن إضافة شيء جديد أمر صعب للغاية، وأن أقصى ما يمكن تقديمه هو عمل «فلاش باك» على الكثير مما قيل، ونشر مع سؤال الأحياء من بين من عاشوا معه، واقتربوا منه ومعظمهم لجسن الحظ أساتذة وأصدقاء لي، لكن المشكلة التي واجهتني أن حياة «عبد الحليم حافظ» سواء الفنية أو الشخصية زاخرة بمئات المواقف، والأحداث التي يصعب أن يتضمنها فصل من كتاب، وأرشيف صور العندليب الأسمر قد سجَّل كثيراً من مراحل حياته خاصة المرحلة التي رافقه خلالها المصور الفنان «فاروق إبراهيم»، والذي يزخر بالآلاف من الصور النادرة.

العندليبُ الأسْمَرْ

الناقد الفني «جليل البنداري» كان أول من أطلق على «عبد الحليم حافظ» لقب «العندليب الأسمر». وكان من أحب الألقاب على قلب «حليم» .. وبين «عبد الحليم» و«جليل البنداري» حكاية طريفة يرويها «مجدي العمروسي» صديق عمره. ويقول: لقد علم «عبد الحليم» أن «البنداري» كان يسب ويلعن كل من يجري معه حواراً صحفياً إضافة لكونه حاد الطبع، سليط اللسان، من أجل ذلك كان يتجنب أن يقع تحت يديه في حوار صحفي فيسمع منه ما لا يرضاه أو يقبله؛ في نفس

الوقـت كان «عبد الحليم» يعرف أن إجراء مثل هذا الحديث سـوف يُضيف إليه الكثير، فذهب لصديقه «محمد حسـنين هيكل» – وكان وقتها رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة» – والتي كانت ستنشر الحديث وشرح له مخاوفه من لسان «البنداري» وشتائمه، وبعد أن استمع إليه «هيـكل» باهتمـام – قال له اسمع يا حليـم .. بصراحة حديثك مع جليل البنداري مهم جداً لك وسيعطيك دفعة قوية.

– قال عبد الحليم.. أعرف ولكن ماذا عن شتائمه وهجومه.

– فرد عليه هيكل – بالعكس هو اللي بيشتكي منك وبيقول انك بتتهرب منه وبترفض إجراء الحديث معاه.. واعترف «عبد الحليم» بأن ذلك حدث بالفعل ولكن بسبب الخوف من الشتائم.

وفكـر «هيـكل» قليلاً ثـم رفع سماعـة التليفـون متحدثاً مع «جليـل البنداري» وقال: يا أخ جليل أنا عندي عبد الحليم حافظ وهـو مرحب جداً بالحديث وسـعيد جداً بيـه.. رد عليه جليل : «ابعتهولي». قال «هيكل»: يا ريت يا أسـتاذ جليل تيجي تعمل معاه الحديث في مكتبي لأني عايز استمتع معاكم بالحوار، وبالطبع فهم «جليل» الهدف من مكالمة «هيكل» .. وجلس «البنداري» وأمامه «عبد الحليم»، وبدأ في طرح أسـئلته، وكان أول سـؤال ـ مكتوباً وليس مقروءاً – بحيث يراه «عبد الحليم»، ولا يراه «هيكل»:

« انـت جايبـني قـدام هيـكل عشـان مـا اشـتمكش يا بن الـ«.........»؟ لكن «عبد الحليم» بذكائه كان يتظاهر بعدم رؤيته للشـتيمة المكتوبـة، وأخذ يجيب.. أنا مولـود بقرية الحلوات في

٢١/٦/١٩٢٩م مركز «فاقوس»، «الزقازيق»، وواصل «عبد الحليم» الإجابة في وقار وجدية.

وظل «جليل البنداري» على هذا الحال يكتب في نهاية كل سؤال شتيمة قاسية – يابن كذا وكذا.. لكن «عبد الحليم» أيضاً ظل رابط الجأش، ولم تفارقه الابتسامة خلال الحوار، وكانت النتيجة أن قام «جليل» في نهاية الحديث يعانق «عبد الحليم» معجباً بذكائه وردوده الواثقة، وبعدها أصبح الكاتب، والناقد «جليل البنداري» واحداً من عشاق «عبد الحليم»، وأصدقائه المقربين، وقام بنشر كتاب عنه بعنوان «جسر التنهدات».

«إشمعنى» المغرب

ويقدم لي الفنان «فاروق إبراهيم» صورة نادرة من أرشيفه الذي يضم عشرات الآلاف من الصور؛ الصورة لـ«عبد الحليم» وهو يسقط على الأرض بعد خروجه من السيارة مغشياً عليه، وكان ذلك في تونس، كما يروي قصصاً كثيرة عن حب شعب المغرب لحليم، ويجيب صديق عمره «مجدي العمروسي» عن سؤال مهم «لماذا المغرب بالذات؟» فقد حفل المغرب بكثير من ذكريات حليم وسفرياته.. فيقول كانت مرحلة الخمسينات والستينات هي مرحلة التأسيس والكفاح في مسيرة عبد الحليم وكذلك شهدت بعض سنواتها شهرته وتألقه.. وراح «عبد الحليم» يجوب الأقطار العربية ويملأ سماءها بالغناء محلقاً في آفاق الشهرة والمجد، لكنه توقف ذات ليلة وهو يتأمل فيما حوله فوجد أنه لم يدع أو

يغـن في المغـرب ولا مرة واحدة، فكان السـؤال الـذي ألح عليه «اشمعنى المغرب»؟.. ولماذا "فريد الأطرش" هو الذي يكتسـح هذه السـاحة وحده؟.. وبالفعل طلب حليم من العمروسـي أن يذهب إلى هنـاك؛ إلى المغرب.. فكانت المفاجـأة .. بل مفاجآت عديدة واجهها العمروسـي وهو يسـأل «إيه الحكايـة»، وعلم أن جميع أفلام وأغنيات «عبد الحليم» ممنوعة من سـت سنوات، وأن هذا المنـع جاء من جهـات عُليا، وهو ما يرمز إلى أن الملك نفسـه هو سبب المنع شخصياً، وبعد محاولاته علم "مجدي العمروسي» سفير «عبد الحليم» أن وشـاية خبيثة كانـت وراء هذا التوجُّه «الملكي» عندما أبلغوه بأن «عبد الحليم» أثناء خلاف الجزائر والمغرب غنى أغنية ناصَرَ فيها الجزائر ضد المغرب، وأن الملك صدق القصة دون أن يسـمع الأغنية؛ أما الأغنية فكانت «قضبان حديد اتكسـرت» والواقـع أن هذه الأغنية أنشـدها «عبد الحليم» بمناسـبة الإفراج عن الخمسـة الذين كانوا معتقلين في الجزائر، وعلى رأسـهم «بن بيلا». ونصحت شـخصية مرموقة مجدي أن يكتب «عبد الحليم» خطاباً للملك «الحسن الثاني» يشرح فيه كل الملابسات، وتعهدت هذه الشـخصية بتسـليم الخطاب للملك بنفسـه، وبالفعل كتب «عبد الحليم» رسـالته للملك وشـرح له حقيقـة الأمر، واختتمها باستعداده للمحاكمة باعتباره مغربياً إذا ما ثبتت إدانته.

أرسِـل الخطـاب للرباط. ومرت الأيام وفوجـئ «عبد الحليم» بمديـر الإذاعة المغربية يحضر للقاهرة لدعوته للغناء في عيد ميلاد الملك «الحسـن»، فسـارع «حليم» بتكليف «مرسـي جميل عزيز»

بكتابة أغنية للمناسبة، ويلحنها «بليغ حمدي» ليغنيها حليم في عيد ميلاد الملك فكانت :

الماء والخضرة والوجه الحسن.. عرائس تختال في عيد الحسن.

وانتشرت هذه الأغنية انتشاراً كبيراً في المغرب التي كانت تبثها من إذاعتها عشرات المرات، وتتردد في كل مكان، ومن يومها شهدت علاقة «عبد الحليم حافظ» بالمغرب، ومليكها تميزاً خاصاً، وأصبح «حليم» مسئولاً عن تنظيم حفلات القصر يدعو فيها من يشاء من فنانين.

مع المُوجي والطَّويل وبَليغ

مرت علاقة عبد الحليم بالملحنين الذين عملوا معه بمراحل عديدة ومثل كل منهم بصمة في مسيرته. فقد شهد كل من محمد الموجي وكمال الطويل مرحلة البداية. ورغم ما قدماه في مسيرة عبد الحليم من روائع لكن مشاعر الغيرة لم تقترب منهما وسارا معاً مشوارهما الطويل بجوار حليم. فقد كان لكل منهما خصائصه ومميزاته وطابعه. كان الطويل غزير الموهبة والجملة الموسيقية لديه شديدة الثراء وبسيطة في نفس الوقت. كما برع «كمال الطويل» في تلحين الأغاني الوطنية التي تمثل مرحلة مهمة في مسيرة «عبد الحليم حافظ».

أما الموسيقار «محمد الموجي» فقد كانت موهبته مقرونة بالعلم وأصول الصنعة وكانت بدايته مع حليم في أغنية «صافيني مرة» و "يا مواعدني بكرة" ثم قدما مجموعة من الأغاني الخالدة التي

سطرت بداية رحلة النجاح والمجد التي شهدت من ألحان الموجي روائع خالدة خاصة قصائد «قارئة الفنجان»، وحبيبَها، و«رسالة من تحت الماء»، وغيرها.

ووسط تألق الموجي والطويل ظهر بليغ حمدي ولفت الأنظار بشدة عندما قدم مذاقاً جديداً في أغاني «عبد الحليم» من خلال لحنه «تخونوه» وبدأت موهبة بليغ ورغبته في تطوير «الفلوكلور» فلقي هوى في نفس «عبد الحليم» لتبدأ مرحلة أخرى أفرزت أغنيات «سواح»، و«التوبة»، و«على حسب وداد قلبي» وغيرها، وقد وجد هذا اللون استجابة وصدى كبيراً أضيف إلى رصيد كليهما.

إعجابٌ مُشْتَرك

أما علاقة العندلَيب الأسمر بموسيقار الأجيال «محمد عبد الوهاب» فقد تميزت بالخصوصية، أحبَّ عبد الوهاب حليما حباً جماً وكان يرى فيه مزايا فنية عديدة، فهو ذو أذن دقيقة واعية، والواقع أن «عبد الحليم» تعلم فن الحياة على أيدي مجموعة من العباقرة من بينهم «عبد الوهاب» الذي كان يعشق من بين أغانيه «يا اللي الهوى خالك»، وعلى الرغم من الإعجاب المشترك بين النجمين الكبيرين لكن التعاون الفني بينهما جاء متأخراً، إلا أن الأعمال التي قدماها كانت في قمة الروعة مثل – أنا لك على طول – توبة – شغلوني – أهواك – ظلموه – قولي حاجة – لست قلبي – ضي القناديل – لا تكذبي وغيرها من الأغاني التي بلغت ٢٩ أغنية.

مِشْوارُ حيَاتِهِ بالصُّوَر

إن حكايـة المصـور الفنان «فـاروق إبراهيم» مـع «عبد الحليم حافظ» تضم تفاصيل شـائقة يرويها «فاروق» قائلاً: بدأت مع عبد الحليم من بداية المشـوار.. مشـوار صعب مليء بالأشواك، ومليء بالزهـور أيضاً، لقد تقابلنا في مرحلة الفقر لكن الفارق أن ما كنت أكسـبه أنا كنت أنفقـه وحدي، أما ما كان يكسـبه هو فقد كان ينفق ثلاثة أرباعـه على الأدوية، ويمضي «فاروق إبراهيم» قائلاً: «عبد الحليم» كان صاحب الفضل في نجومية كل من اقتربوا منه؛ أخـذ بأيديهـم جميعاً للأمام وبصراحة هـو كان صاحب فكرة أن يؤرخ حياته بالصورة، وكان أول فنان يكون له مصور خاص، لقد صحبته في كل سفرياته وأخذت له أماكن مميزة للتصوير وسجلت كل لحظات السعادة والألم والإبداع في حياته .. إن لدي أكثر من ١٥٠ ألف صورة لحليم.

وأترك روايـة «فاروق إبراهيم» قليلاً لألتقـط خيط هذه العلاقة المميزة من مذكرات مجدي العمروسـي الذي يقول: لم يحدث أن رأينـا عبد الحليم معجبـاً أو منبهرا بمصور معين، وفجأة وجدت «عبـد الحليم» يصاحب «فـاروق إبراهيم» ويحضـره معه للمنزل باسـتمرار، وكان عبد الحليم لا يتركه أبداً يذهب قبل أن يتناول معنـا طعام الغداء أو العشـاء، ولم أسمع عبد الحليم يتحدث معه أبداً في التصوير أو أن يطلب منه أن يصور له أي مناسـبة، لكنها كانت مجرد صداقة..

وكان عبد الحليم يهوى التصوير، ويمضي بعض الوقت في تعلم أصوله حيث اكتسب هذه الهواية من صديقه الدائم الشيخ «كمال أدهم»، وذات مرة عاد «عبد الحليم» من إحدى سفرياته حاملاً مجموعة من أحدث الكاميرات العالمية وأحضر «فاروق إبراهيم» للمنزل وسأله كمصور محترف عن رأيه فيها، وبعد أن قلب فاروق في الكاميرات صاح بصوت عال.. الله يا عبد الحليم يا محترف يا ذوق يا صاحي.. إزاي عرفت تختار المجموعة الرائعة دي؟.. دي أمنية أي مصور في الدنيا .. دا أنا بيها أعمل البدع .. رد عبد الحليم :طب يا سيدي حنشوف.. اسمع يا فاروق الكاميرات دي بتاعتك.. فقام فاروق واحتضن عبد الحليم وقبله قائلاً.. يالله ناخد أول صورة.

قال حليم.. «اسمع يا فاروق من النهاردة لن تفارقني في أي حفلة أو فيلم أو سفرية ووربنا يا عم إزاي تكون الصور».. ومن هذا اليوم أصبح فاروق إبراهيم الرفيق الخاص لعبد الحليم.

ونعود لفاروق إبراهيم الذي يروي لنا حكاية بعض الصور التي التقطها لعبد الحليم.. ويقدم إحدى هذه الصور قائلاً: في هذه الصورة كان حليم يغني أغنية فيلم «لا» ولم يكمله وسقط على الأرض وقمت بتصوير هذه اللقطة في ٨ كادرات، وبالرغم من وجود مصور فرنسي فلم يصورها. وأصبحت الصورة التي التقطتها هي أحد مشاهد الفيلم. وساعتها قال لي عبد الحليم: «شايف الفرق بقى بين المخ الفرنساوي والمصري؟».

كان «عبد الحليم حافظ» مثله مثل كل المشاهير تحوطهم الشائعات والمتطفِّلون وتنسج حولهم الحكايات والخيالات؛ الأمر الوحيد الذي ينفرد به هو كونه مطرباً رقيقا استطاع أن يستحوذ على قلوب الشباب ومشاعرهم بأغانيه الملتهبة بأحاسيس الحب والغرام والفراق، وأن يجد كل شاب وفتاة فيه نفسه وكأنه يعبر عنه شخصياً حتى أصبح «عبد الحليم حافظ» حالة فريدة؛ من هنا فقد كان التفاف الشباب في الزمن الجميل حول حُنجُرة حليم، وأغانيه نوعاً من رجع الصدى، لذلك كان لإشاعات الحب والزواج بالنسبة له مذاق خاص.

وعن الروايات الكثيرة التي ترددت حول قصص حب العندليب نتوقف مع إحداها.. فقد كانت قصة الحب الأولى في حياته عندما ارتبط بخطوبة حقيقية من فتاة صغيرة بإحدى قرى مركز «أبو كبير» بالشرقية.. الفتاة اسمها «فاطمة» أو «طاطا» كما كان «عبد الحليم» يطلق عليها – وتروي «فاطمة» صاحبة القصة قائلة: منذ أن أتيت إلى قرية «الحلوات» عشت في منزل «عبد الحليم شبانة» أكثر مما عشت مع إخوتي، فقد أخذتني خالتي السيدة «زينب» من زوجة الحاج «متولي عماشة» خالة عبد الحليم وأنا رضيعة حتى وصلتُ إلى الرابعة عشرة، وكان عبد الحليم يلازمني بصفة دائمة وسمعته كثيراً وهو يقول لخالتي «عهد يا ماما زينب تخطبي لي بطة.. وبالفعل تمت الخطبة ولم يكن عمر فاطمة قد تجاوز ٩ سنوات بينما كان عمر حليم وقتها ١٨ سنة. وكثيراً ما كان يأخذها إلى

الزقازيق للفسحة، ومرت السنين إلى أن انقطعت هذه العلاقة بعد زواج «فاطمة عبد السلام» من رجل آخر، بل إنها لم تستطع زيارة عبد الحليم أثناء مرضه حيث كانت التقاليد الصارمة تمنع ذلك.. لكن السؤال بقي مطروحاً.. هل كانت «طاطا» هي حب حليم الحقيقي؟.

حبٌّ منْ أوَّل نَظْرَة

الحكايات كثيرة ومنها ما يؤكد أن أهم حب في حياة العندليب كانت فتاة رائعة الجمال - عيناها زرقاوان كحيلتان يفوق سحرهما أي جمال شاهده «عبد الحليم» في حياته، كان شعرها الناعم الطويل يتوج بشرتها السمراء الخمرية ذات الجاذبية الخاصة .. كانت «ديدي» التي أحبها حليم من أول نظرة منذ أن رآها في الإسكندرية، وهي ملهمته في أغنية «كان يوم حبك أجمل صدفة» لكن المشكلة أن «ديدي»، وهي ابنة أحد أعيان الشرقية، وأثريائها كانت قد تزوَّجت من رجل من أكبر عائلات الصعيد، ويعمل في السلك الدبلوماسي، ورغم عدم توفيقها في هذا الزواج، ومحاولاتها المستمرة للخلاص من زوجها للارتباط بعبد الحليم لكنها فشلت، وهو الأمر الذي جعلها تيأس من حياتها، ويشاء القدر أن تُصاب محبوبته الأثيرة بمرض خبيث في المخ، وتودع الحياة دون أن يتبخر حبها من قلب حليم الذي ظل يعاني طوال سنوات مرضها وغنى لها «في يوم في شهر في سنة».. ويذكر الفنان فاروق إبراهيم المصور الذي لم يفارق عبد

الحليم طوال مسـيرته فيقول عن هذه العلاقة : تعرف حليم على «ديدي» بالإسـكندرية وأحبها بشدة، وذات يوم مر عليهما أحد البائعين المتجولين على «البلاج» يحمل خواتم فاشـترت من هذا البائع دبلة وألبستها لحليم .. هذه الدبلة ظلت في إصبعه سنوات طويلـة لا يخلعها ورغم أنها دبلـة رخيصة لكن الغريب أنها لم تصدأ في يد عبد حليم.

وتؤكـد «زينب عبد القادر» — سـكرتيرة عبـد الحليم الخاصة أن «ديـدي الألفي» هي المرأة الوحيـدة التي أحبها «عبد الحليم» في حياتـه حباً حقيقياً، وعلى الرغم مـن معارضة أهلها لعلاقتها به، لكنها تحدت الجميع حتى وصل الأهل إلى قناعة باسـتحالة ابتعادها عن طريقه، وقام والدها «إبراهيم الألفي» بإهدائه شـقة في عمارته بسيدي بشر بالإسكندرية، وأضافت سكرتيرة العندليب أن رنين التليفون لم ينقطع يوماً بين العاشـقين، كما تؤكد أن العلاقة بين «ديدي وحليم» لم يكن مقدراً لها أن تنتهي بالزواج، فقد كان العندليب ممنوعاً من الزواج بأمر الأطباء، وجميع الشـائعات التي تقول إنه تزوج لا أساس لها من الصحة.

بين المَغْربيّة، واللبنانيّة

وقد شـاع في فترة أن عبـد الحليم ارتبط عاطفيـاً بفتاة مغربية وتدعـى «فاطيما».. كانت امرأة مختلفة عن كثير من النسـاء التي عرفهـن عبد الحليم وظلت العلاقة بينهما تتطـور يوماً بعد يوم، لكن المشـكلة أن هذه المرأة كانت زوجة لشـخصية رفيعة جداً في

المغـرب تردد وقتهـا أنه الجنرال «أوفقير» وزيـر الداخلية القوي آنذاك، والذي تم إعدامه فيما بعد إثر انقلاب فاشل، وقد سافرت "فاطيما" إلى باريس بعد الحادثة لكن حليم كان قد قرر إنهاء هذه العلاقة خوفاً من تداعياتها.

وقصـة أخرى بطلتهـا مليونيرة لبنانية شـقراء ظلـت تطارد العندليب، لكن ما حدث أن معجبة أخرى كانت قد تعرفت عليه لم تتورع عن كشـف تفاصيل العلاقـة للصحافة اللبنانية، لتطوي هذه القصة أيضاً.

وكثـيرة هي القصص والحكايـات عن أسماء النسـاء في حياة العندليب من بينها اسـم شقيقة المطربة «عزة بلبع»، والتي بذلت أسـرتها جهـداً كبيراً في إبعادها عنه. وهناك أيضاً إشـاعة وقوع حليم في حب الفنانة «زبيدة ثروت» أثناء عملهما معاً في فيلم «يوم من عمري».

لكن المقربين من عبد الحليم كان لهم رأي آخر في تلك الحكايات والشـائعات، فهذا هو الشـاعر الراحل «كامل الشناوي» يؤكد أن حليم لم يحب في حياته سـوى مرة واحدة، أما الحالات الأخرى لم تكن سوى وهم يعيشه عبد الحليم، فقد تملّكه الحزن، والخوف من شبح «النزيف».

والأمـر المؤكد أن عبـد الحليم حافظ قد عـاش قصصاً عاطفية غـير مكتملة ولابـد أن قلبه قد خفـق يوماً لامـرأة أو أكثر، ولم تكـن «ديدي»، و«بطـة»، و«فاطيما» وغيرهن هـن كل من أحب

عبد الحليم، ولا شك أن العندليب عشقته الكثيرات وأنه كان فتى أحلامهن.

وأخيراً.. سُعَاد حُسْنى

رغم مرور قرابة الثلاثين عاماً على رحيل العندليب الأسمر، ومرور خمس سنوات على وفاة السندريلا «سعاد حسني»، لكن السؤال لا يزال مطروحاً: هل تزوج «عبد الحليم» و«سعاد»؟

لقد استطاع الكاتب الكبير «مفيد فوزي» تفجير قنبلة عندما انتزع اعترافاً من السندريلا - نشر في مجلة صباح الخير وضمه كتابه «صديقي الموعود بالعذاب» - بأنها تزوجت حليم عُرفياً لمدة ست سنوات كاملة، وأن لديها أوراقا تثبت هذا الزواج؛ هذه الأوراق التي لم تقدمها «سعاد حسني» للمحاور «مفيد فوزي»، والتي لم تظهر أيضاً حتى الآن بعد مرور كل هذه السنوات؛ بل راح القريبون من عبد الحليم ينفون بشدة أن يكون هذا الزواج قد تحقق، ويقول مجدي العمروسي: الحقيقة أن سعاد وحليم قد اتفقا على الزواج وذهب جليل البنداري وحسن إمام عمر وأحضرا المأذون إلى منزل سعاد حسني لعقد القران ولكن كان بانتظارهما صدمة كبيرة هي رفض سعاد حسني الزواج من عبد الحليم عندما قالت إنها لا تنكر حبها الكبير لحليم وهذا ما يمنعها من الزواج به !!

ويضيف مجدي العمروسي: لا شك أن علاقة عبد الحليم لسعاد حسني، وتواجده عندها في كثير من الأحيان، قد تسبب في بعض

الأقاويل، وكثير من الهمســات والتلميحات، فقد صحب «حليم» «ســعاد» في إحدى رحلاته الفنية إلى شمال أفريقيا، واشــترى لها خلالهــا كماً كبيراً من الملابــس والمتطلبات التي أثارت الأقاويل، لدرجة أنهم قالوا إنه يشــتري لها لوازم الفرح، وأن الزواج أصبح وشيكاً، وعندما عادا إلى مصر انتظر الجميع الخبر السعيد، لكن لم يحدث شيء من ذلك، وعندما جلست إلى «حليم» أسأله عما يتردد من شائعات زواجه من «ســعاد» والمشتريات المهولة التي اشتراها لهــا قال: يعــني معقول يا مجدي يبقى فيه جــواز من غير انت ما تعرف أو أي حد من أهلي،.. انت يا مجدي مش عارف رأيي في حكاية الزواج.. وأنه ليس من مشــاريعي الحالية أو المســتقبلية ولم يوافقــني عبد الحليم على تكذيب الإشــاعة قائلاً: لو كذبت الإشاعة أبقى أحرجتها بلا أي سبب.. أترك الموضوع فالأيام كفيلة تقتل هذه الشائعات.

ويواصل مجدي العمروســي أقرب أصدقاء عبد الحليم حافظ إلى قلبه ومدير أعماله وخزينة أســراره معلقاً عما نشره الكاتب الكبير مفيد فوزي فيقول: الأستاذ مفيد نجح بامتياز في خبطته الصحفية وارتفع بتوزيع صباح الخــير ليتضاعف إلى ثلاثة أضعاف أو أكثر خلال الأسابيع الخمسة التي نشرت فيها هذه القصة.. لكن «مفيد فوزي» رد على «العمروســي» حول قضية الزواج فقال: إن «سعاد حسني» صادقة فيما روته لي مُسَجَّلاً عن زواجها غير المعلن والتي أنهته «ســعاد» حين أصــر «حليم» على ســريته، إلا أن الكاتب

الكبير الراحل «مصطفى أمين» الذي كان قريباً من «عبد الحليم»، ويعرف كل شيء عن أسراره.. يقول:

من غير المعقول أن يكون هناك زواج مدته ٦ سنوات بين أشهر نجم في مصر وأكبر نجمة ولا يعلم عنه أي إنسان، وإذا كان صحيحاً أين هذا العقد ومن شهوده؟

هذا الرأي يؤكده المصور «فاروق إبراهيم» ويقول: أنا أمتلك عشرات آلاف الصور لعبد الحليم من بداية حياته حتى رحيله، فهل يعقل أن «سعاد حسني» كانت زوجة له ولم يضم أرشيف صوره عندي سوى صورة واحدة لهما؟.. وأتساءل لماذا بدأ الحديث عن زواجهما بعد رحيله بسنوات؟ إضافة إلى أن «عبد الحليم» كان يمتلك شركة إنتاج سينمائي مع الأستاذ «عبد الوهاب»، ومع ذلك لم تقم «سعاد» ببطولة أفلام من إنتاج شركته؛ الشيء المؤكد أنهما كانا صديقين، وأن بينهما إعجاباً فنياً متبادلاً؛ أما مسألة الزواج هذه.. فاسمح لي!

الرِّحْلةُ الأخيْرة

ولا يستطيع أي وافد على حياة العندليب الأسمر أن يمر دون التوقف عند محطة «عذاباته» مع المرض، وكان أكثر محطاته مرارة هو ما كان يردده حُسَّادُه من أن «حليم» يدّعي المرض لكي يحصل على مزيد من تعاطف الجماهير، وهو ما ثبت عكسه مع الأيام، فقد كان مرضه عُضالاً، ولم يكن هناك أمل كما قال طبيبه الإنجليزي «روجرز» سوى زرع كبد جديد، وفي ذلك الوقت

لم تكن هذه الجراحة متقدمة، وحاول الطبيب أن يقنع «حليم» بأنه قد أجرى عشرين عملية زرع كبد نجح منها ١٢ عملية، وظلوا على قيد الحياة، لكن «عبد الحليم» صمم أن يراهم بنفسه ويناقشهم، وبالفعل تراجع وقرر أن يجري العملية، وبدأت الاستعدادات التي تسبقها وكان لابد من عملية «الحقن» لإيقاف النزيف، وطالت العملية هذه المرة عن الوقت المعتاد لكن المفاجأة أن جرس الغرفة ظل يضرب بشكل متواصل، وعندما هرع زوار «حليم» المنتظرون بالخارج فوجئوا بأرض الغرفة مكسوة جميعها بدم غزير لتدق أجراس الإنذار، ويتم استدعاء الأطباء الذين وصل عددهم إلى ١٢ طبيباً تجمعوا حول سرير «حليم»، وراحوا يُجرون الإسعافات اللازمة، ومن بينها وضع جهاز أخذوا يدخلونه في فمه وهم يرجونه أن يبتلع قربة الجلد الناعم، وهو ينظر إليهم في ضعف ويأس، فقد كان ابتلاعه لهذه القربة سوف يملؤها بالهواء لتضغط على جدار المعدة، وتسد الأوعية الدموية التي انفجرت في المعدة، لكن «حليم» فشل في ابتلاع القربة بالكامل لتصعد روحه إلى بارئها، ليخرج الأطباء وهم مطأطئو الرأس، تتفجر دموعهم في حسرة، وألم، فقد فعلوا كل شيء لكن إرادة الله كانت لها الكلمة العليا.

لينتهي مشوار «حليم»؛ مشوار حافل بالشهرة والمجد، بالنجاح والإخفاق والسعادة والألم، ورغم محاولات أصدقائه من الأمراء في أن تتولى طائراتهم الخاصة نقل جثمانه، لكنه كان قد أوصى

صديقه الأثير «مجدي العمروسـي» أن يُنقل جثمانه إلى مصر على إحدى طائرات مصر للطيران.

ويقدم لنا «العمروسي» في كتابه «أعز الناس» إحصائيات غريبة فقد ولد «عبد الحليم حافظ» عام ١٩٢٩م وغنى لأسـتاذه وصديقه «عبـد الوهـاب» ٢٩ لحنـاً، توفى وعمره ٤٨ عامـاً، وغنى ٤٨ لحناً وأغنية وطنية، عاش ١٧١٩٩ يوماً أي ٤٧ سـنة و٩ أشـهر و٩ أيام؛ أما عـدد الأفلام التي قام ببطولتها فكان ١٦ فيلماً غنى فيهـا ٧٧ أغنية، وكان عدد الممثلين والممثلات الأوائل الذين مثّلوا أمامه ٧٧ فناناً وفنانة وتوفى عام ١٩٧٧.

رحم الله «عبد الحليم حافظ» بقدر ما أسـعدنا سـنوات طويلة ولا يزال.


مع الاستاذ هيكل


أى دمعة حزن لا


يغنى خليجى



مع فريد ولحن لم يكتمل

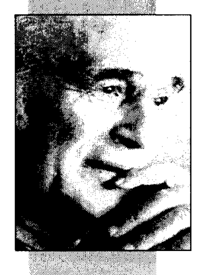


حليم والسندريلا هل تزوجا

حليم مريضا

مصطفى أمين

❑ مَواقفُ مع التوءَم
وشَريكة العُمْر



- في ليلة عُرسي جلس توءَمي مكاني في «الكوشة»
- عندما ضحك «علي أمين» على الوزير مدَّعياً أنه «مصطفى»
- كُنتُ كالنهر الهادئ، و«عليّ» كالبُركان الثائر
- كان قلبي كعمارة عالية.. في كل شقة تسكن امرأة
- نحن في حاجة إلى وزراء يستقيلون، وصحف تنشر الاستقالة

تملّكتني حيرة كبيرة، وأنا أراجع ملف صور، وسيرة، ومسيرة الكاتــب الكبير الراحل «مصطفى أمين»، وذلك بســبب هذا الكم الكبير من الصور، والذكريات التي تؤكد أن «مصطفى أمين» عاش حياة مليئــة بالأحداث، وحافلة بالإنجــازات، تلك الحياة التي ذاق خلالها حلاوة الانتصار، وتحقيق الآمال، ومرارة الانكســار، والآلام، لكــني وبعد كثير مــن التأمل قررت أن أبدأ هذه الرحلة، وأتوقف عند محطات بذاتها ترسم ملامحَها صورٌ بعينها.

فرغم أحاديثي التليفزيونية، والصحفية الطويلة، والعديدة معه والتي تناولت كل تفاصيل مســيرته الصحفية، لم أشــأ تناولها، واكتفيت بالوقوف عند محطات خاصة تتسم بلقطات إنسانية.

مَقَالبُ التوْءَم

أولى هذه المحطات علاقته بتوءمه «على أمين».. في أحد لقاءاتي معــه ســألته: ما هي خصائص العلاقة مع التــوءم؟ .. يومها قال لــي: إن هذه العلاقة بدأت بيننا في بطن أمي، وقبل أن نرى نور الدنيــا، ونواجهها معاً بمصاعبها.. لقد جمعنا رحم واحد تقاسمنا فيه المكان، والرزق، وهو ما اســتمر بعد خروجنا إلى الحياة حيث تشــاركنا في مكان العيش وسبيل الرزق.. لقد تشابهنا في كل شيء حتى أنني لم أكن أعرف إن كنت «مصطفى» أم «علياً»، أما والدتي فقــد كان الله في عونها حيث كان يصعــب عليها أن تفرِّق بيننا،

وأمام الكثير من المشـــاكل، والمطبات التي وقعت فيها بسبب هذا التشـــابه فقد لجأت إلى حيلة طريفة، وعجيبة حيث كانت تضع في يدي شريطاً أزرق، وفي يد «علي» شريطاً أحمر، وكان يحلو لنا أن نبدل الشرائط حتى يختلط عليها الأمر، وعندما سافر «علي» في الثلاثينات إلى إنجلترا للدراســة حيث قضى عامين، وعند عودته ذهبت لاستقباله في ميناء الإسكندرية، ومن هناك اتصلت بوالدتي أخبرها بأنني «علي» فبكت متأثرة لأنها حرمت سنتين كاملتين من الاستماع لهذا الصوت، فبادرتها ضاحكاً إنك تسمعين هذا الصوت كل يوم، فأنا «مصطفى» ولســت «علياً»، فلم تصدق وقالت: إنها تعرف صوتي جيداً.. وأخــيراً أعطيت سماعة التليفون لـ«علي»، فاكتشفت والدتي أنها كانت ضحية هذا المقلب.

والواقع أن هذه المقالب كنا نســتثمرها، ونســتفيد منها أحياناً خاصـــة إذا مـــا أوقعتنا الظروف في مواقف حرجـــة؛ فعندما تزوج أخي «علي» كان كثيراً ما تفاجئه زوجته بمكالمات تليفونية طويلة، وكان يناولني سماعة التليفون إذا كان مشغولاً، وأتولى أنا استكمال المكالمـــة دون أن تشـــعر زوجته أن الذي يحدثهـــا هو «مصطفى»، وليس زوجها «علي»..

وحدث عندما تزوجت للمرة الأولى أن طلبت زوجتي إقامة الفرح في فندق «شـــيبرد» القديم، لكنني رفضت الفكرة خاصة الجلوس في «الكوشة» بينما كل الحاضرين يتفرجون عليّ، وأمام إصرار زوجتي وافقت مضطراً، ولم يمض على جلوسي في «الكوشة» أكثر من خمس

دقائق حتى أحسست أنني غير قادر على تحمل هذه «البهدلة»"، ليجيء توءمي، وينقذني بالجلوس مكاني حتى نهاية الفرح.

ويستمر «مصطفى أمين» في رواية تفاصيل جديدة عن المواقف الحرجة التي لجأ إليها التوءم للاستفادة من التشابه المذهل بينهما فيقول: كان شقيقي «علي» يعمل سكرتيراً خاصاً لوزير الأشغال «حسين سري» باشا، وحدث أن وصل «علي» متأخراً ساعة كاملة، وعند دخوله المصعد فوجئ بالوزير الذي كان حازماً في تعليماته، وبادره قائلاً: كيف تتأخر يا أفندي ساعة عن موعدك، وكيف تسمح لنفسك بركوب المصعد المخصص لكبار الموظفين، فصاح «علي» في وجه الوزير قائلاً: كيف تعاملني بهذه الطريقة، أنا «مصطفى أمين» رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة» ولست سكرتيرك.. فتراجع الوزير وقال لـ«علي»: يا أخي كنت باهزر معاك.. أنا أعرف جيداً أنك «مصطفى» ولست «علي»، يعني معقول مش حاعرف سكرتيري؟، وعندما دخل «حسين سري» باشا مكتبه طلب «علي أمين»، فدخل المكتب بعد أن استبدل كرافتته التي استعارها من أحد زملائه، فإذا بالوزير يقول له: أنا كنت أتصور أن أخوك «مصطفى أمين» ذكي وبيفهم النكتة.. تصور لم يفهم أنني كنت أداعبه في المصعد!.

ويروي «أنيس منصور» أنه لم يكن يستطيع أبداً التفرقة بين التوءم «مصطفى وعلي أمين»، فعندما انتقل للعمل معهما في أخبار اليوم عام ١٩٥٢ لم يكن يفرق بينهما إلا عندما

أُصيب «علي أمين» في عُنُقه، ووقتها عرف أيهما «مصطفى» وأيهما «علي»..

ويقول «أنيس منصور»: لقد عرفت أيضاً أن الذي يصافحني ويعانقني، وهو لا يعرفني فإنه «مصطفى»، وأن الذي لا يصافحني رغم أنه يعرفني فهو «علي».. ثم عرفت أن «مصطفى» على استعداد لأن يضحي بي من أجل خبر، وأن «علياً» على استعداد أن يضحي بالخبر من أجلي، كما عرفت أن «علي أمين» قد أدمن المستقبل، و«مصطفى أمين» قد أدمن الحاضر، ويضيف «أنيس منصور» أن «مصطفى أمين» قد ضحك علينا عندما تُوفي «علي أمين»، وقال إنه هو الذي مات، وفي اليوم التالي ظهرت مقالة فكرة، وكان التوقيع «مصطفى أمين».

وفي حوار تليفزيوني أجريته مع الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» سألته عن الفرق الإنساني، والمهني بينه، وبين توءمه.. فقال لي: إنها ليست فروقاً كثيرة، وعلى سبيل المثال فأنا أعصابي تحت جلدي، أما «علي» فكانت أعصابه فوق جلده.. كنت هادئاً وكان «علي» بركاناً يثور دائماً..

وعدت لأسأله: هل شعر أحدكما يوماً بالغيرة من الآخر.. فضحك «مصطفى أمين» وقال: وهل يمكن أن يغار الإنسان من نفسه؟ فقد كنا كفين.. فهل تغار الكف اليمنى من اليسرى؟.. كان كلانا يغار على أخيه، ولا يغار منه؛ أما التنافس الوحيد الذي كان بيننا، فكان في الصفحة الأخيرة.. كان يكتب كلمته وأكتب

كلمـتي.. كان يفكر بعقلي، وكنت أفكـر بعقله، وأحياناً يحدث بيننا خلافات لكنها تنتهي بعد خمس دقائق على الأكثر.

نسَاءٌ في حَيَاته

لأن «مصطفـى أمـين» كان نجمـاً، وكاتباً كبـيراً فقد تناولت الشـائعات علاقاته مع العديد من النساء، وتجرَّأتُ يوماً، وسألته في أحـد حواراتـي معه عن كل ما يُشـاع عن علاقاته النسـائية فضحك قائلاً: لأنني بشـر مثل سـائر البشر فقد عرفت في حياتي نسـاء كثـيرات.. سـيدات وغانيـات.. نجمـات ومجهولات.. مصريات وأجنبيات.. ثم أطلق ضحكة عالية وقال: لقد كان قلبي يشـبه عمارة عالية مليئة بالشقق، وفي كل شقة تسكن امرأة حتى تعرَّفـت على «إيزيس طنطاوي»، وأحببتها كثيراً فإذا بهذا الحب يحول كل النسـاء في حياتي إلى أشـباح، فهي المرأة التي شعرت معهـا بالأمان.. المرأة التي تؤمن بالقضية أكثر مما تؤمن بالرجل، فقد كان جمالها في شخصيتها القوية، وذكائها وحكمتها.

ويحكي «مصطفى أمين» قصة توطيد علاقته بابنة عمته «إيزيس طنطاوي»، ويقول: عندما جاءت لزيارتي في السجن، وكانت تعلم أنني محكوم عليّ بالأشـغال الشـاقة المؤبـدة، وكان عمري وقتها ٥٥ عامـاً، ومعنى ذلك أنه كان عليهـا أن تنتظرني ربع قرن من الزمـان لكي تتزوجني، وعمـري ٨٠ عاماً.. ورغم ذلك اختارت، وهي شـابة أن تحبني، وقد أحسسـت بهذا الحـب الصادق من

اللحظة الأولى، ولتصبح «إيزيس» هي الحقيقة الوحيدة في حياتي، وبحبها شعرت أنني أخذت من الحياة أضعاف ما أخذت مني.. ويستطرد الكاتب الكبير في حديثه عن زوجته «إيزيس» فيقول : إنها كانت تلعب دوراً مهماً في تهريب رسائلي من السجن، وتتولى بنفسها توزيعها لمن سيطيرون بها وراء الحدود، وكانت لها قدرة عجيبة وهي تقود سيارتها على الهرب من الذين كانوا يراقبونها، كانت تعلم أنها تخاطر بشبابها وحريتها، وتُعرِّض نفسها للسجن، والاعتقال من أجل رجل لن يخرج من السجن إلا بعد ٢٥ سنة، لكنها بحريتها اختارت أن تغامر.

سَنَواتُ السِّجْن

كثيراً ما تحدث الكاتب الراحل «مصطفى أمين» عن السنوات التسع التي أمضاها في السجن، كما أنه أصدر مجموعة من كتبه حمل كل منها تفاصيل سجنه سنة بعد أخرى، وقد سجلت أحاديث تليفزيونية استمرت أكثر من ثلاث ساعات عن دقائق حياته خلال تلك السنوات المؤلمة لكني أتوقف عند كلمات، وعبارات بعينها.. فعندما سألته : كم ليلة قضيتها في السجن؟، قال: لا أستطيع أن أقول لك.. إن ساعة ظلم واحدة طولها ألف سنة .. وسألته :ما هي الصداقة التي اكتسبتها في السجن قال: صداقتي مع زوجتي، قلت: وما هي أفضل هدية تلقيتها في السجن، قال: يوم أخبرني طبيب السجن بأن «أم كلثوم» ستقدم لي أغنيتها هدية، وكانت أغنية «الأطلال».

كَلِمَات

وخلال تلك الحوارات الطويلة كانت للراحل الكبير كلمات حُفرت في وجداني:

- كل فشل علّمني النجاح.
- نحن في حاجة إلى وزراء يستقيلون، وإلى صحف تنشر الاستقالة.
- الذين لم يُحبوا أبداً.. لم يعيشوا أبداً.
- الوزير الذكي هو الذي يعمل في وزارته، وكأنه سيخرج غداً.
- كل ضربة تلقيتها في ظهري دفعتني إلى الأمام.
- لا تقترض من صديقك حتى لا تهرب منه، ولا تقرضه حتى لا تضطره إلى الهرب منك.
- لو عاد الزمن لارتكبت نفس الأخطاء.





مع رفيقة العمر

مصطفى أمين طفلا



الكاتب الكبير يتحدث للمؤلف


فى الطريق
للسجن

يوسف وهبى

❑ الفنان الأرستقراطى الصعلوك



- سكن القصور الفاخرة وغرفة فوق السطوح شـاركه فيها الدجاج
- طرده أبوه من القصر فعمل في سيرك يستعرض عضلاته على أنغام الموسيقى
- أرسله والده لدراسة الكهرباء في أوروبا فارتمى في أحضان الفن
- ليلى بنت مدارس وراء حصوله على الباكوية
- رصيده الفني: ٣٢٠ مسرحية، ١١١ عملاً إذاعياً، ٥٨ فيلماً سينمائياً، ١٥ مسلسلاً

« وما الدنيا إلا مسرح كبير »

قالهـا «يوسـف بـك وهبي» مازحـاً وهو يـدرك أنهـا غالباً حقيقة..

عند الحديث عن هؤلاء الذين تركوا بصمات في حياتنا لا يمكن أن نتجاهل الفنان الكبير «يوسف وهبي» عميد المسرح العربي.

ذلك الفنان الأرسـتقراطي الذي سـرى حب الفن في دمائه منذ الصغـر. كثـيرون أولئك الذيـن يعرفون عنه تربعـه على عرش التراجيديا لسـنوات طويلة في المسـرح، كما يعـرف له المعجبون بفنه عشـرات الأفلام الناجحة في السينما وتألقه في الأدوار المثالية والكوميديا، وقليلون من يعرفون أنه أثبت موهبة في التلحين.

علامة اسـتفهام كبيرة تفرضها الخلفية الأسرية التي نشأ فيها فنان الشعب من حيث ميلاده في أسرة أرستقراطية من ناحية، وفي وقت كان الفن عموماً مُحاطاً بنظرات الاحتقار والازدراء، خصوصاً مـن الطبقة العليا التي ينتمي إليها «يوسـف وهبي»، وكان يطلق على المثلين لقب «المشخصاتية» إمعاناً في التحقير من شأنهم.

فمـا الذي دفع «يوسـف وهبي» لأن يعمل مشـخصاتياً؟، وما الـذي جعلـه يهرب من مصر ويترك العز والجـاه ويواجه المعاناة لدرجـة اضطـراره إلى العمل كمصارع محترف مقابل سـتة قروش في الليلـة كي ينفق منها، وكان ذلـك أمام المصارع المعروف وقتها «عبد الرحيـم المصري» الذي كان يعلن في كل ليلة عن مباراة بينه وبين مصارع أجنبي جذباً للجمهور، ولم يكن ذلك المصارع الأجنبي سوى «يوسف وهبي».

مدٌّ.. وجزر

عن مسـيرة حياتـه الشـخصية والفنية قال «يوسـف وهبي» في أوراقه: إنها مسـيرة طويلة وعمر عشـته طـولاً وعرضاً وكثيراً ما أسأل نفسـي: كيـف اسـتطعت بمفردي ودون عـون من أي مخلوق اجتياز الصعاب التي مرت بي لعشـرات السنين، عشتها بين مد وجزر، في قصور فاخرة، في غرفة فوق السـطح يشـاركني فيها الدجاج.

رأس مـال ضخم ورثته عن أبي وأضعته.. ثم اسـترددته.. ثم فقدته.. دراما لا تهدأ.. فقر وغنى.. شظف وترف.. ظلام وأضواء مبهرة.. قامرت وربحت وخسـرت.. انتصرت وهزمت، ولكني لم أسلم سـلاحي وأستسـلم للأقدار.. ولم أغتر بالثراء ولم أجزع من الإفلاس العلني ومطاردة الديّانة.

هكـذا كانت حياة «يوسـف وهبي» الذي ولد في الرابع عشـر من يوليو عام ١٨٩٨. في مرحلة حساسـة للغاية من تاريخ المسرح المصـري كان فيها لا يزال يبحث لنفسـه عن هوية يتمسـك بها ليأخذ المكانة التي يستحقها بين الفنون الأخرى.. وما من شك في أن الظروف السياسـية والاجتماعية والثقافية التي كانت غالبة في ذلك الوقت، كان لها دور سلبي في تعثر المسرح في مراحله الأولى، فقـد تكونت أول فرقة مسـرحية وكان اسمها «فرقـة الكوميديا» علـى أيدي «يعقـوب صنّوع» «أبو نظارة» الـذي كان الممثل الأول والمخرج ومدير الفرقة، ثم جاءت فرق أخرى وممثلون عظام أمثال

«أبو خليل القباني» و«جورج أبيض» و«عبد الرحمن رشدي» و«عزيز عيد» و«عمر وصفي» وغيرهم.

لكن المسرح العربي قبل «يوسف وهبي» ظل يعاني من الارتجال والإيقـاع البطيء وكانت مشـاركة المـرأة في العروض المسـرحية شحيحة للغاية ويرجع ذلك بالطبع لظروف المجتمع ووضع المرأة من ناحية، وعدم حصول المسرح كفن على المكانة اللائقة به.

لذا عمل «يوسف وهبي» منذ اليوم الأول لتأسيس فرقته «رمسيس» على أن يُدخل على المسـرح تعديـلات وضوابط جديدة كي تضعه على الطريق الصحيح وتجعله يرتقي المكانة التي يسـتحقها سواء فنياً أو اجتماعياً.

ومن هذا المنطلق أدخل "يوسـف وهبي" على المسـرح المصري بعـض العادات والتقاليد الجديدة منها تحديد موعد رفع السـتار وإلغاء "البناوير" الخاصة بالنسـاء والتي كانت تغطى عادة بستائر من الدانتيل.

وقبـل أن نتوغـل أكثر في رحلة «يوسـف وهبي» مع المسـرح والفن الإبداعي نتوقف قليلاً مع نشـأته وطفولته على أسـاس أن مرحلتي الطفولة والمراهقة.. عادة ما تسهمان بشكل كبير في تكوين شخصية صاحبها.

ينتمي لأسـرة أرستقراطية عريقة، فوالده «عبد الله باشا وهبي» كان مهندس ري متميزا وكان دائم التنقل بين ربوع مصر، وقد ولد يوسـف في الرابع عشر من يوليو عام ١٨٩٨م في محافظة سوهاج، وكان له ستة أشقاء، وبدأ يتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة التي

أسســها والده في مدينة ســوهاج، وتلك كانت عادته في كل مدينة يعيش فيها.

ثم انتقلت الأســرة للقاهــرة حين أقامت في منــزل كبير بحي المنيرة، والتحق يوسف بمدرسة الناصرية «مدرسة أبناء الذوات في ذلك العصر».

وفي الوقــت ذاته، ازداد تعلق يوســف بالمســرح وبدأ يشــاهد المســرحيات في دار التمثيل العربي، وحضــر العديد من العروض لفرقة رائد الغناء المســرحي سلامة حجازي مثل «عايدة» و«عظمة الملوك» وكان يوسف وهبي في ذلك لا يفترق عن صديقه محمد كريم الذي كان يشاركه حبه للمسرح والفنون.

يوسف.. بطل مصارعة

ولع يوســف وهبي بالرياضــة كان كولعه بالتمثيل. وكان بطل المصارعــة عبد الرحيم المصري يدرب في نادي «أنصار القوة» الذي كان ملاصقاً لمسرح الكورسال. حيث كان يوسف يتقابل مع صديق آخــر له وهو «مختار عثمان».. وبعد أن ينهيا تدريبات المصارعة، يدخلان معاً لمسرح الكورسال لمشاهدة العروض المسرحية.

الخطوة الأولى.. في السبعين

عندما زاد اهتمام يوســف وهبي ومحمد كريم بالمسرح وشغفهما به. انضما لفرق الهواة المســرحية. وحقق يوســف وهبي نجاحاً

منقطع النظير ولفت الأنظار إليه بشـدة في أول دور له على خشبة المسرح عندما مثل دور رجل عجوز عمره ٧٠ عاماً في رواية «الشرق المغتصب» لفرقة الفنان «حسن شريف».

ثم قام والد يوسف وهبي بنقله من المدرسة السعيدية إلى مدرسة الجمعية الخيرية الإسـلامية ليكون تحت رقابته المباشرة بحكم رئاسـته للجمعية، ولكن على رغم عدم تمكن يوسف من ممارسة هوايته التمثيلية في المدرسة الجديدة، إلا أنه كان يمارسها خارج المدرسة عندما انضم هو وصديقه محمد كريم لنادٍ جديد أنشئ في شـارع محمد علي.. وكان يوسف يزاول فيه رياضة رفع الأثقال وكذلك المصارعة، ثم انضم لفرقة التمثيل الملحقة بالنادي.. ولكن والـده شـاهده ذات مـرة بالصدفة فغضب غضباً شـديداً وطرده من البيت.

في السيرك

فجأة، وجد يوسـف وهبي نفسـه خارج القصـر وحياة الأبهة مطروداً، لا يجد من ينفق عليه. فاعتمد على نفسـه، وبحث عن مصدر رزق يعينه على مواجهة ظروف الحياة. فاشـتغل في سيرك رياضي يقدم عرضاً في رفع الأثقال مع تقديم اسـتعراض العضلات على أنغام الموسيقى.

دراسة المسرح.. لا الكهرباء

وخشـي والد يوسـف على ما يبدو مما قد يسـببه تشرد ابنه

من وجهة نظره من حرج للأسـرة، فقرر إرسـاله في بعثة دراسية لأوروبا ليبعده عن وسط المشخصاتية، وبالفعل سافر يوسف وهبي لإيطاليا، وكان والده يظن أنه يدرس الكهرباء، أما الواقع فهو أن يوسـف وهبي وجد الفرصة كي يرتمي في أحضان الفن الذي بهره وملك عليه حياته، ثم سـافر يوسـف من إيطاليا إلى فرنسا حيث تعرف على يوسـف عثمان وعزيز عيد وهناك عملوا معاً في مسارح فرنسـا، وعاش يوسف في تلك الفترة ما كان يسمى وقتها بالحياة البوهيمية حيث كان يرى أن الفنان لا يكون فناناً حقاً إلا إذا عاش هذه الحياة المدعوة بالبوهيمية.

العودة.. والانطلاق

فجأة توفي والد يوسـف وهبي وترك له ثروة تقدر بعشرة آلاف جنيـه ذهـب، وهي ثروة بالغـة الضخامة في ذلـك الوقت. فعاد يوسـف إلى مصـر وكله تصميـم على أن يفعل شـيئاً عظيماً بتلك النقود، ولكن الفن هو أعظم شيء في حياة يوسف وهبي،

فـكان طبيعياً أن يكرس كل الثروة التي ورثها عن أبيه لخدمة الفن، فقرر إنشـاء فرقة مسرحية أطلق عليها اسم فرقة «رمسيس» وافتتحت عروضها المسـرحية في العاشـر من مايـو عام ١٩٢٣م، وكانت مسرحية «المجنون» أول عروضها، وشاركته «روزاليوسف» في بطولتها ولاقت المسرحية نجاحاً هائلاً.

الباكوية

عمل «يوسف وهبي»، من خلال فرقة «رمسيس» على أن يفسح المجـال أمام الوجوه الجديدة والمواهب الشـابة، إلى جانب عمل أعظـم الفنانين والفنانات وذوي الشـهرة الواسـعة فيها، وظلت الفرقة تحقق النجاح تلو الآخر حتى الثلاثينات من القرن الماضي، وفي عام ١٩٣٠م، أنشأ يوسف وهبي مدينة رمسيس للفنون «مدينة الإعلام حالياً».. وكانـت المدينة أعجوبة زمانها في ذلك الوقت.. حيث كانت تضم مدينة للملاهي وسينما ومسرحاً وستوديو للسينما ومطاعم ومقاهٍ وأكشـاكاً للموسيقى وسـاحات للباتيناج.. كما كان ستوديو رمسيس أول ستوديو يتم إنشاؤه في مصر، وافتتحه يوسف وهبي بإنتاج فيلم «أولاد الذوات» وكذلك شـيد ستوديو «وهبي» في الجيزة وفيه صور أفلام «سـيف الجلاد» و«غـرام وانتقام» و«ليلى بنت مدارس»، وقد نجح الفيلم الأخير نجاحاً باهراً وبسببه حصل على لقب الباكوية.

وقت الشدة.. والأزمات

ظلت فرقة «رمسـيس» تقدم عروضها بنجاح باهر ونال يوسف شـهرة واسـعة، حتى الثلاثينيات من القرن الماضي عندما ألقت الأزمـة الاقتصاديـة بظلالهـا القاتمة على العـالم أجمع، حيث تراكمت الديون على يوسـف وهبي وفشلت الفرقة. على رغم كل

المحاولات المضنية التي بذلها يوسف للخروج من الأزمة؛ إلا أنه أفلس واستولى الدائنون على مدينة رمسيس للفنون.

ولكن إرادة يوســف وهبي الفولاذية ومثابرته وإصراره الشــديد مكّنوه من أن يتغلب على الأزمة، بل أعاد تأسيس فرقة رمسيس المسرحية من جديد.

دفاعاً عن أم كلثوم

كان مــن أبــرز صفات «يوســف وهبي» ثقته بنفســه واعتزازه بفنــه لدرجة العنــاد والمكابرة، وحدث ذات مرة أن نشــر الناقد «عبد المجيــد حلمي» صاحــب ورئيس تحرير مجلة المســرح في العشــرينات والثلاثينــات، مقالات نقد فيها يوســف وهبي نقداً شديداً، وكان أيضاً يهاجم كوكب الشرق أم كلثوم بشراسة لحساب «منيرة المهدية» التي كان يهواها، فقام يوســف وهبي باســتئجار مجموعــة من البلطجية، تربصوا بـ«عبــد المجيد حلمي» وضربوه علقة ســاخنة لتأديبه، وقد قال «يوسف وهبي» نفسه تعليقاً على ذلك: «انتقمت منه لنفســي أولاً ثم للمسكينة الآنسة أم كلثوم عله يتعلم الأدب بعد هذا الدرس».

مصلح اجتماعي

«يوســف وهبي» بلا شــك، كممثل كان يمتلــك موهبة متدفقة وإمكانيــات وجدانية وبدنية هائلة مكنته من أن يلعب كل أدواره

بإتقـان تام وتفـرد لا مثيل له، وهو ما أكـده الفنان الكبير «زكي طليمات» حين قال: وهكذا كان يطلع علينا يوسف من وقت لآخر بأسلوب في الأداء التمثيلي، وطريقة في التعبير بملامح الوجه.. إن في جرابه الكثير من الحناجر والأقنعة.

أما على المسـتوى الاجتماعي، فقد لعب مسرح «يوسف وهبي» دوراً هائلاً، حيث شـن يوسف من خلال المسـرح هجوماً ساخناً على العادات الاجتماعية البالية والمستوردة والاستعمار، وكان أول من نـادى بإعادة توزيع ملكيـة الأرض الزراعية على الفلاحين، وكان ذلك في مسـرحية «رجل الساعة» ونادى كذلك بحق المرأة في التعليم والعمل ومساواتها بالرجل.

يوسف والسينما

قدم يوسف وهبي للسـينما ٥٨ فيلماً.. أولها فيلم «زينب» عام ١٩٣٠ وآخرها «السلخانة» عام ١٩٨٢م.

واستطاع يوسف أن يقدم للسينما أدواراً مازال الناس يذكرونها.. وتعتـبر من علامـات السـينما المصرية والعربية، فقـد تنقل بين التراجيديـا والكوميديا بفنه المتألق وحضـوره الطاغي حتى لو لم يكن هو بطل الفيلم.. مثل فيلم «إشـاعة حب»، فرغم وجود سعاد حسـني وعمر الشريف إلا أن يوسف وهبي بأدائه السلس والراقي كان بطل الفيلم المتألق.

والعمل الوحيد الذي تمنى يوسف وهبي أن يمثله وينتجه هو فيلم «الفرعون الذي فقد الابتسامة» لكنه لم يستطع تحقيق أمنيته.. حيث كان الموت أسبق.

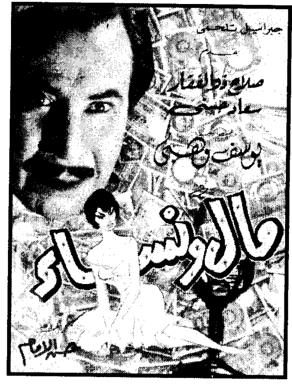
وهكذا ترك يوسف وهبي بصماته من خلال ٣٢٠ مسرحية و١١١ عملاً إذاعياً و ١٥ مسلسلا و ٥٨ فيلماً سينمائياً، ومن بين مسرحياته تلك ١٠٠ مسرحية عالمية و٦٠ مسرحية من تأليفه، وأكثر من ١٨٥ مسرحية من إخراجه.

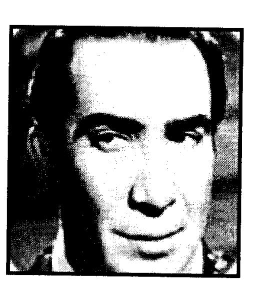
وفي السابع عشر من أكتوبر ١٩٨٢م، ودعت مصر والأمة العربية فقيد الفن «يوسف بك وهبي» قائد المسرح العربي، وذلك في جنازة هائلة تتناسب مع حجم فنان أعطى بحق كل ما يملك من مال وصحة وفكر وإبداع للناس، كما حمل راية الفن المحترم الهادف طوال حياته.

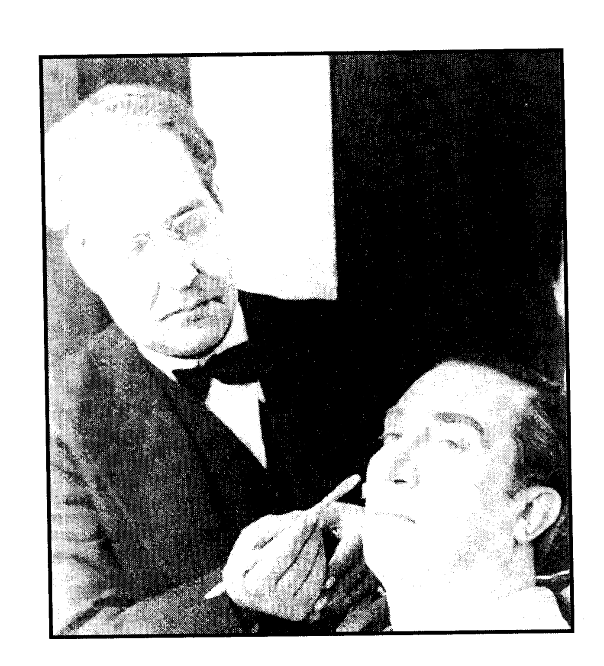


يوسف وهبي . فاتن حمامه
مارى منيب
كمال حسين
فاخر فاخر
زينات صدقى
عزيزه حلمى
الراقصه كيتى
عبد العزيز زكى
شفيق نور الدين
ابراهيم حشمت
عايده كامل
تحيه كاريوكا


المرء وما صنعت يمينه

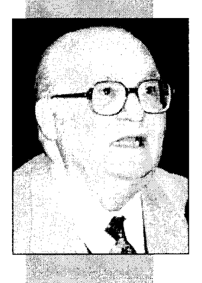

جبرائيل تلحمي
صلاح ذو الفقار
سعاد حسني
يوسف وهبي
حسن الإمام





ثَرْوَت أَبَاظَة

❑ ابن الباشوات الذي جسَّد نبضَ البُسَطاء



- **الباشوات لم يكونوا طبقة منفصلة عن الشعب**
- **مـن يداعب الجنس ليبيع كتبه قـوَّاد.. ومن يداعب الإلحاد كافر**
- **احترف الكتابة، وهو في السادسة عشرة من عمره**
- **٤٠ تمثيليــة إذاعيــة و٤٠ قصة قصــيرة، و٢٧ رواية طويلة في سجل إنتاجه الأدبي**
- **لم يكــن في مصـر طبقــات ســوى الأســرة المالكة بسبب غبائها**

كثيرة هي المرات التي جمعتني فيها لقاءات مع الكاتب الكبير الراحــل "ثروت أباظة"، التقيت به أديباً متميزاً، ووكيلاً لمجلس الشــورى، واحتفظت في أرشــيفي بالعديد من الحــوارات والصور التي تبدو للوهلة الأولى نابضة بالحيوية وعامرة بالأحداث المهمة، وبمحطــات كثيرة وقــف عندها قطــار حياته الزاخــرة بالمواقف والإنجازات.

لم يعــش «ثــروت أباظة» طفولــة ناعمة مثلمــا يتخيل البعض باعتباره سليل العائلة الأباظية الأرستقراطية، لكنه كما قال لي قد عاش طفولة جادة خشنة لدرجة أنه لم يكن يتذكر مشاهد من هذه المرحلة ســوى مشــاهد الدروس الخاصة التي كان يحصل عليها. وهو في الخامســة من عمره، وفي مدرســة الروضــة الابتدائية التي التحــق بها في مرحلة الروضة التي تســبق المرحلة الابتدائية راح الأديب الكبير «كامــل الكيلاني» صديق والده يقدم للطفل «ثروت أباظــة» بعضاً من كتبه، ولم يكن قد تجاوز الثامنة من عمره، وفي إحدى الزيارات قدم «كامل الكيلاني» للطفل الصغير عشــرة كتب دفعة واحدة، فتلقاها بسعادة غامرة، وانفرد بها في إحدى الغرف وانبطح على الأرض يقرؤها في نهم وسعادة، والغريب أنه لم يغادر غرفته إلا بعد أن فرغ من قراءة كل الكتب العشرة !.

تاريخان للميلاد

تاريخ الميلاد الرسمي لثروت الثابت في بطاقته وشــهادة ميلاده هــو ١٥ يوليو ١٩٢٧. بينمــا تاريخ ميلاده الحقيقي هو ٢٨ يونيه

١٩٢٧ ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى إصرار والده على عدم تسجيل محل ميلاده بالقاهرة، بل في قريته «غزالة الخيس» مركز الزقازيق بمحافظة الشـرقية «معقل الأباظية» عائلته الشهيرة وهو مــا يعكس ارتباط عائلتــه بالريف في الوقت الذي كان والده عضواً بمجلس النواب لمدة ثماني سنوات، وعين وزيراً في عشر وزارات، ولم يكــن إعجاب «ثروت أباظــة» بوالده إعجاباً عادياً بل إن هذا الإعجاب قد تجــاوز كل الحدود؛ فقد كان المُناخ الذي تربى فيه «ثروت» مناخاً جاذباً للثقافة والمثقفين، فلم يكن بيت العائلة يخلو من هؤلاء، وقد تمكن برعاية والده الشــاعر الكبير «دسوقي أباظة» من إتقان اللغة العربية إتقاناً نادراً ما كان يتوفر لمن في مثل عمره. وظــل «ثروت أباظــة» في تحصيل العلوم الثقافيــة في نفس الوقت الــذي كان يدرس فيه بكلية الحقوق حتى حصل على الليســانس من جامعة القاهرة عام ١٩٥٠.

هاربٌ من الأيَّام

بــدأت مرحلة الإنتاج الأولى عند «ثروت أباظة» وهو في ســن مبكــرة حيث مارس الكتابة، وهو لا يزال في السادســة عشــرة مــن عمــره، حيث كتب القصــة القصيرة، والتمثيليــة الإذاعية حتى اشــتهر اسمه مؤلفاً إذاعيــاً، ليتجه بعد ذلك لكتابة القصة الطويلــة، وكانــت قصته الأولى «ابن عمار» وهــي قصة تاريخية قررتهــا وزارة التربية والتعليم فيما بعد لتدرس في مدارســها، ثم

كتب مسـرحية بعنوان «الحيـاة لنا» لتبدأ مسـيرته مع الإبداع والتألـق ليقدم للمكتبة العربية سلسـلة مـن الأعمال الخالدة من بينها «شـيء من الخوف»، «ثم تشـرق الشـمس»، «الضباب»، «جـذور في الهواء»، «أوقات خادعـة»، «طائر في العنق»، «قصر النيل»، «أحلام في الظهيرة»، «بريق في السـحاب».. وغيرها من الأعمال الأدبية التي تحول عدد كبير منها إلى أعمال سـينمائية اشتهرت وحققت نجاحاً كبيراً.

وقد فازت روايته الشهيرة «هارب من الأيام» التي وصفت بدقة أجواء القرية والنوازع الإنسـانية الخيرة والشـريرة بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٩.

ويزخر سجل إنتاج الكاتب والأديب الكبير بعشرات الإبداعات، حيث كتب أربعين تمثيلية إذاعية و أربعين قصة قصيرة و سـبعاً وعشرين رواية طويلة.

ويذكر أن الأديب الكبير «ثروت أباظة» قد عمل لسـنوات في المحامـاة بعد تخرجـه في إحدى الشـركات العقارية، كما تقلد العديد من المناصب الأخرى منها «رئيس اتحاد الكتاب»، «وكيل مجلس الشـورى»، «سـكرتير عام نادي القصة»، «رئيس القسم الأدبي بمؤسسـة الأهرام»، «عضو بالمجلس الأعلـى للثقافة».. وغيرهـا، كما حصـل على جائـزة الدولة التقديريـة في الأدب من المجلس الأعلى للثقافة، ووسـام العلـوم والفنون من الطبقة الأولى وغيرها.

باشوات.. ولكنْ

أذكر أنني ســألت الأديب الكبير ذات مرة عن رأيه في عصر «الباشوات» فضحك وقال: باشوات إيه يا أستاذ؟.. مفيش طبقة اسمها باشــوات.. بل إنه في الحقيقة لم يكن في مصر «طبقات» باســتثناء الأسرة المالكة لشــدة «غبائها»، حيث ظلت محتفظة بلغتها التركية، وباللغة الفرنسية، ولم تحاول النزول إلى الشعب، أما هؤلاء الذين يطلق عليهم البعض لقب «باشــوات» فهم أناس تعبــوا كثيراً في حياتهــم حتى حصلوا على لقب «الباشــوية»، وكان أول باشــا في مصر هو «محمد باشا سلطان»، و«سيد أباظة باشــا»، ويومها قال الخديوي إنه يمنح الباشوية للفلاحين، من هنا فإن الباشــوات لم يكونوا طبقــة، ولم يكونوا أيضاً مفصولين عن الشــعب، وعلى ســبيل المثال أبي وأخي كانا من الباشوات لكــن كان لكل منهمــا مواقفه الوطنية مــن الإنجليز، ومحاربة الاحتلال.

وعن عائلته العريقــة «الأباظية» قال لي الأديب الكبير: إنها عائلة كبيرة من حيث الحجم، ومن ثم فإن فرص التفوق والتميز تتزايــد فيها، إضافــة إلى أن الأدب كان أحد الجينات، والدماء التي تجري في عروق عائلتنا؛ فجدي «ســليمان باشا أباظة» كان شاعراً وهكذا كان معظم جدودي.

الحبُّ.. والخُلْع

وأتذكر مشـاغباتي مع الأديب الكبير، ومن بينها عندما سألته عـن الحب في حياته فيقول: الحب هو مظهر من مظاهر الحياة، أما المرأة فهي الأم والأخت والزوجة والابنة.. أنا مثلاً تزوجت عن حب؛ فزوجتي هي السـيدة «عفاف» ابنة شـاعر العربية والمسرح الكبير «عزيز أباظة»، ورزقنا بابنة تخرجت في كلية الآداب قسـم اللغة الفرنسية واسمها «أمينة»، وابن هو المستشار «دسوقي»، وقد سـعدت أنه قد ورث عني الشـرف في الكلمة، والصدق في القول، والفعل والوضوح والبساطة.

وعندمـا سـألته عن رأيه في «الخلع» قال بـلا تردد: أنا أوافق علـى هذا النظـام؛ فهناك نسـاء كثيرات يتعرضن لضـرر الزوج وتعسـفه ونكرانه، بل وانحرافه أحياناً، ويتملكهم العناد فيتركون زوجاتهم معلقات بلا رحمة دون طلاق، لذا أعتقد أن الخلع مسألة إيجابية تماماً.

نعم للرِّقابة

ويؤمن «ثروت أباظة» بأن الكاتب موقف، وأن الكتابة رسالة، وذات يـوم قـال لي: أتحدى من يجدني قد كتبـت حرفاً واحداً يختلف مع قناعاتي، كذلك فإن حرية الإبداع لابد وأن يكون لها حـدود لأنه لا حرية بلا قانون وإلا أصبحت فوضى، ومن يداعب

الجنـس ليبيع كتبه فإنه «قوّاد»، ومن يداعب الإلحاد فهو كافر، فحـدود الأدب ألا تخدش حياء المجتمع، وحياء الناس، ودينهم وشـرفهم وكرامتهم، من هنا فقـد كان الأديب الكبير يحبذ وجود «رقابة» على الإبداع حتى لا تحدث فوضى.

قلبُ طِفْل

والأديـب الكبير «ثـروت أباظة» يُعد من أحـد الرموز الأدبية البـارزة؛ فهـو بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من مكانة سياسـية كبيرة اكتسـبها من خلال اهتمامـه بقضايا وطنه وأمته، كانت له أيـادٍ بيضاء على مئات المبدعين سـواء ممن اتفق أو اختلف معهم أيديولوجياً؛ فالمنصفون يعترفون بأن الرجل هو الذي ساهم بجهده المتواصل في إنشـاء واسـتمرار اتحاد الكتاب، وأنـه قد جلب له عشـرات المزايا، ومن بينها العمـل على تخصيص معاش لأعضاء الاتحاد، وتعديل مشـروع قراره حتى أقره مجلس الشعب. والذين اقتربـوا من الأديب الكبـير الراحل حتى ممن خالفـوه في الرأي يعترفـون بأن الرجل الذي كان يجهـر بآرائه في جرأة وحِدَّة كان يملـك قلب طفل. ولا يمكـن أن نغادر حديثنا عن الأديب القدير دون أن نتعرض للحملات الشرسـة من الهجوم والنقد التي تعرّض لها من جرَّاء هجومه المسـتمر على الشـيوعيين والناصريين.. تلك المعـارك التي خاضها برباطة جـأش، ودون أن يتحول عن آرائه وأفـكاره قيدَ أُنمُلة. لكن الواقع الذي يتفـق عليه الجميع هو أن

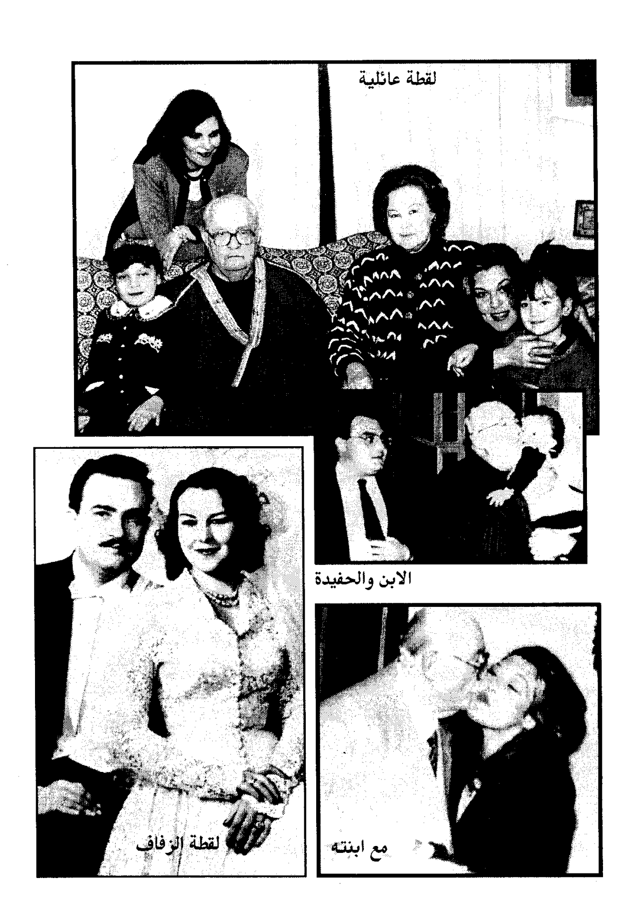
الرجـــل يعتبر علامة بارزة من علامات الثقافة العربية، وأنه قيمة إبداعيـــة لا يمكن تجاهلها، والحقيقـــة الأبرز هي أنه رغم انتمائه إلى طبقة «الباشــوات» لكنه أجاد رســـم وتجسيد نبض البسطاء في رواياته بأكثر من قيامه بتصوير أبناء طبقته.



مع الرئيس
حسنى مبارك



قبلة مع نجيب محفوظ



لقطة عائلية

الابن والحفيدة

لقطة الزفاف

مع ابنته

زكريا أحمد

❑ شيخ الملحنين



- عاش الجانب الأكبر من طفولته وصباه مطروداً
- شارك في ثورة ١٩ وخبأ الرسائل السرية في طيّات شال عمامته
- أنتج ١٠٧٠ لحناً بينها ٦١ من روائع «أم كلثوم»
- صادق أم كلثوم عشرين سنة .. ثم ساقها إلى المحاكم طوال عشر سنوات
- سر «مشنة» الفجل والجرجير التي حملها على كتفه إلى زوجته

تملكتني حيرة شديدة وأنا أقلب أوراق ومذكرات شيخ الملحنين زكريا أحمد.. فكيف يمكن تسجيل المحطات المهمة في مسيرة هذا العملاق في المساحة المخصصة لهذا الفصل، فقد هالني الإنتاج الغزير للحن كتب اسمه بحروف من نور في تاريخ الموسيقى الشرقية، حيث يحفل سجله بألف وسبعين لحناً تميزت جميعها بالأصالة والعزوبة والتفرد، كان من بين هذه الألحان «٦١» لحناً قدمها لأم كلثوم، من بينها روائع مثل «أنا في انتظارك» و«أهل الهوى» و«غني لي شوي شوي» و «قولي ولا تخبيش يا زين» و«هو صحيح الهوى غلاب» و«الأمل» و«صوت الآهات» وغيرها.. كما غنى له كبار المطربين الأغاني والأدوار والطقاطيق والتواشيح والأوبريتات والعديد من الأشكال الغنائية الأخرى.

وإذا كانت المسيرة الفنية لهذا العملاق قد حفلت بكل ما أبدعه، فإن سيرته الإنسانية لا تقل أهمية وتمتلئ بتفاصيل حياة عريضة حافلة بالنجاح والانكسار.. بليالي الأنس والسعادة، وبسنوات العذاب والضنى.. كل ذلك جعل من تسجيل حياة هذا العبقري مهمة صعبة لمن يخوض هذه التجربة، خاصة إذا كانت المساحة المخصصة لا تتسع لكل التفاصيل والمحطات المهمة.

المطرود

الاسم الكامل هو.. زكريا أحمد جعفر. تنتمي أسرته إلى قبيلة «مزيان» ببلدة سنورس بالفيوم . نزح والده إلى القاهرة والتحق

بالأزهر الشـــريف، لكنه ترك الدراسة بعد قيام ثورة عرابي وتزوج فتاة من أســـرة تركية أنجبت له ثلاث بنات، لكنهن كن يمتن في الأســـبوع الأول لميلادهن، ثم تـــزوج من زوجة جديدة أنجب منها ابنه الأوحد زكريا في يناير عام ١٨٩٦، وكانت أمنية الشيخ أحمد أن يكمـــل ابنـــه الطريق الذي بدأه، ويصبح عالمـــاً بالأزهر بعد أن ألحقه بالكتّاب والمدرســـة الابتدائية قبل أن يلتحق بالأزهر، وبدأ زكريـــا يلفت إليه أنظـــار أقرانه من خلال جمـــال صوته في قراءة القرآن والإنشـــاد الديني، إلى أن بدأت هوايـــة الغناء تطغى عليه ممـــا أغضب والـــده الذي بادر بطرده من البيت، ورغم وســـاطات الأصدقاء لكن الأب والابن وقف كل منهما عند رأيه.. زكريا يريد أن يســـلك طريق الغناء والموســـيقى، والشـــيخ أحمد لا يرى لابنه مستقبلاً سوى أن يصبح عالماً في الأزهر.. وبعد سنوات اضطر الوالد للخضـــوع لرغبة ابنه على مضض وأعاده للمنزل، لكن الحال كان قد تغير – فقد ماتت أمه وتزوج والده بأخرى، التي أخذت تتفنن في تدبـــير المكائد وإثارة والده عليه. وشـــهدت طفولة وصبا زكريا أحمـــد حالات طرد عديدة، فقد طرده والده مراراً من منزله كما تم طرده من كتّاب الشـــيخ «نكله»، بعد أن قام «بعضّ» الشيخ منصور أثناء تلقينه علقة ســـاخنة لشـــقاوته، التي انتقلت معه إلى الأزهر عندما لجأ إلى حيلة خبيثة حيث راح يقلب دبابيس عمامته حتى إذا ضربه الشـــيخ على العمامة دميت كفه، وكان جزاءه الطرد من الأزهر. فراح يتابع الأذكار والموالد في الســـرادقات وينصت لسماع

كبار المقرئين والمنشــدين ويقرأ كتب الغناء.. وبعد طرده من الأزهر أدخله والده مدرســة ماهر باشــا بالقلعة، لكنه طرد أيضاً في اليوم الأول لالتحاقــه بها، وذلك لأنه لم ينقطع عن الغناء طوال وجوده في الفصل وفي الفســحة، وفي هذه المرحلة خلع الشيخ زكريا الجبة والقفطان ليزداد الخلاف بينه وبين والده، ليلتحق بفرقة الشــيخ «درويش الحريري» للإنشاد الديني والسيرة النبوية ويظل بها لمدة عشر سنوات، إلى أن رغب في الالتحاق بفرقة الشيخ «علي محمود». فقام الشيخ درويش الحريري بالتوسط له للالتحاق بفرقته، لكنه لم يمكث سوى أشهر قليلة ليطرده الشيخ على وليعود من جديد إلى الشــيخ الحريري، وبعد جولة مع الحفلات والأذكار التحق زكريا أحمد بفرقة الشــيخ «إسماعيل سكر» للإنشاد، واشتهر خلال هذه المرحلــة بســرعة حفظه لأغاني وأدوار كبــار الفنانين حتى اسماه «كامل الخلعي» بالملقاط.

ولعــل أكثر المحطــات أهمية في تكوين شــخصية زكريا أحمد الموســيقية، هي الفترة التي تلقى فيها التعليم على يد الموســيقار الشــيخ درويش الحريري، الذي رصد حبه وولعه بتعلم الموســيقى وسرعة حفظه ونبوغ حاسته الموسيقية، وقدم له الدروس الموسيقية وعلــوم المقامات، كما اســتفاد زكريا أحمد كثــيراً من الفترة التي أمضاهــا في بطانة الشــيخ علي محمود، ومتابعته للتســابيح التي بــرع في تقديمها الشــيخ قبل صــلاة الفجر من مقامات موســيقية متعــددة وبإتقان بالغ، إضافة لتلقيه دروســاً من الشــيخ «محمود

عبد الرحيم المسلوب» أستاذ الموشحات العربية، وكذلك متابعته «لعبده الحامولي» أهم مطربي القرن «١٩»، والملحن الفذ «محمد عثمان»، الذي برع في تلحين الأدوار وغيرهما من أفزاز الغناء والتلحين، مثل إبراهيم القباني وإسماعيل سكر والشيخ أحمد الحمزاوي وغيرهم.

بداية الاحتراف

ويذكر أن زكريا أحمد قد شارك في ثورة ١٩١٩، وكثيراً ما حمل الرسائل السرية من ثوار القاهرة إلى الأقاليم، التي كان يذهب إليها لقراءة القرآن والإنشاد، حيث كان يخبئ الرسائل السرية في طيّات «شال عمامته».

وقد شهد عام ١٩١٩ بداية تألق الشيخ زكريا أحمد وشهرته كملحن له أسلوب متميز، مما رشحه للتعاقد مع إحدى شركات الاسطوانات لتقديم ألحانه.. وكانت هذه بداية رحلة الاحتراف.

وتشهد خزانة إبداع شيخ الملحنين زكريا أحمد خمس وستين أوبرا وأوبريت قام بتلحينها لكبار المطربين والفرق الفنية، يعد أبرزها «دولة الحظ» التي لحنها لفرقة «علي الكسار» عام ١٩٢٤، وتبعها برواية «الغول» و«ناظر الزراعة» و«عثمان ح يخش دنيا» عام ١٩٢٥، وقد تضمنت الروايات التي لحنها زكريا أحمد ما يزيد على خمسمائة لحن.. كما أجاد شيخ الملحنين تلحين الأدوار والقصائد والطقاطيق، حيث استطاع أن يهز مشاعر سامعيه بأدائه لتلك الإبداعات، رغم أن صوته كان أجشاً. لكن طريقته المميزة

في الأداء كانت مثار الإعجاب، ويذكر أنه قام بتلحين ثلاث وخمسين مسرحية غنائية، ويؤكد الخبراء أن المسرحيات التي لحنها الشيخ زكريا تتشابه مع ما كان يقدمه «سيد درويش»، بما تضمه من نقد شديد وتصوير للأوضاع الاجتماعية. ومع ظهور السينما والمسرح الغنائي بدأ انتقال زكريا لهذه الفنون الجديدة، فشارك في تلحين أغنيات سبعة وثلاثين فيلماً تضمنت إحدى وتسعين أغنية.

ولا يمكن إغفال الجدل الذي أثاره بعض من ناصروا شيخ الملحنين العداء، واتهامه باقتباس ألحان لسيد درويش. لكن بعض المؤرخين والخبراء أكدوا أن كثيراً من ألحان زكريا أحمد جاءت امتداداً لألحان سيد درويش رغم أنه عاصره، إلا أن ألحان زكريا تميزت بالتوغل في الشرقية كما تمتلئ بالصور الشعبية.

والجدير بالذكر أن زكريا أحمد قد كون ثنائياً فريداً مع الشاعر الكبير بيرم التونسي، وقدما العديد من الإبداعات التي لا يمكن أن تمحى واقتربا كثيراً من بعضهما. ويذكر أن زكريا أحمد قد توفي في ذكرى الأربعين لوفاة بيرم.

الذين اقتربوا من زكريا أحمد يقرون جميعاً أن له مزاجا خاصا، كما كان إنساناً حساساً للغاية خاصة ما يمس كرامته وعزة نفسه، ولا يمكنه التنازل عن أي تجاوز فيهما. كما كان كريماً يحنو على الضعفاء.

مع أُمّ كُلثوم

يــروي زكريا أحمد قصــة لقائه الأول مــع أم كلثوم فيقول: في عام ١٩١٩ كنت قد ذهبت إلى الســنبّلاوين بصحبة المرحوم الشيخ أبــو العلاء محمد المقرئ والمغني الشــهير، لإحيــاء ليلة من ليالي رمضان، وكان وجهاء القوم يحتفلون بهذا الشــهر المبارك احتفالاً كبيراً، ويعدون له من وســائل الســمر اللطيف مــا يُحيي القلوب وينعش النفوس.

واستقبلنا علي بك أبو العينين صاحب السهرة بالترحيب الكبير، وقدم لنا المرحوم محمد أفندي عمر القانونجي الذي كان كثير التردد عليه. وقامت بيني وبين عمر أفندي الألفة، وأخبرني أثناء حديثه معي بأن هناك فتاة صغيرة السن. جميلة الصوت تدعى أم كلثوم، ولو تعلمت أصول الغناء سوف تصبح مطربة عظيمة.

ولم يسعدني الحظ في هذه الليلة برؤية هذه الفتاة الصغيرة.. ولم تمر إلا أيام معدودة، ودعيت مرة أخرى إلى الســهر وفي هذه الليلة قابلتها، وكانت بصحبة والدها وشقيقها، واستمعوا لي واستمعت إليها، ففرحت بها وتنبأت لها بالمســتقبل الكبير، ونشأت بيننا صداقة وطيدة دفعتني إلى أن أهدي إليها موشحاً وطقطوقة..

ودعوتهــا إلى القاهــرة في حفل ضم مجموعة مختــارة من أبناء العائــلات ورجــال الفن، ومن بينهم المرحومان الشــيخ أبو العلاء محمد والشيخ علي محمود.. وقد صادفت أم كلثوم في هذه الحفلة نجاحاً كبيراً.

وتعرفـت أم كلثوم في هذه الليلة بالأسـتاذ القصبجي والدكتور محمد صبري الذي اشـتهر بحبه للتلحين، كما كانت هذه الحفلة سـبباً في أن يبدأ الحـاج صديق أحمد متعهد الحفلات المشـهور في تنظيـم حفلات لها، في فترات الاسـتراحة بين فصول روايات الأسـتاذ علي الكسّار، وكان يقوم بتلحين المقطوعات لها الأساتذة أبو العلاء والدكتور صبري ومحمد القصبجي.

وكنت في هذا الوقت أقوم بتلحين روايات «الكسار» فدعتني «أم كلثوم» إلى تلحين بعض أغانيها، وذلك بمناسـبة تسجيل عدة اسـطوانات لهـا.. وكان أول ما لحنت لهـا طقطوقة «اللي حبك يا هنـاه» من تأليف أحمد رامي، و«هو ده يخلص من الله» تأليف بديع خيري، وكان ذلك نحو سنة ١٩٢٥.

والغريـب أن «زكريا أحمد» الذي ربطته بأم كلثوم صداقة قوية علـى مدى أكثر من عشـرين عاماً، قد شـهدت خصومة عاصفة قادتهما إلى المحاكم بسـبب «كلمة» قالتها الست واعتبرها زكريا ماسـة بكرامته، وفي سـاحات القضاء برزت المرافعات والمذكرات وتقارير الخبراء، وعبثاً حاول الأصدقاء المشـتركون أن يفضوا هذا الاشـتباك وإعادة المياه إلى مجاريها، فقد استبد الفريقان برأيهما، لكن بكلمة واحدة من القاضي الحكيم انهار جبل الجليد وتلاشت أسس الخلاف وأسـبابه، أما الخاسر الأكبر في هذه القضية فكان عشاق فنهما الراقي والأصيل.. حيث استمر هذا الخلاف أكثر من عشر سنوات.

صاحب القلب الكبير

الحكايات التي تروي عن إنســانية زكريا أحمد وقلبه الرقيق كثــيرة، ولعل أشــهرها عندما عاد الشــيخ إلى بيتــه، ليجد في طريقــه بائعة «فجــل» تجلس في البرد القــارس، ومعها طفلتها الصغــيرة التي يــكاد البرد يقضــي عليها.. ويســألها «زكريا» البضاعة بتاعتك دي بكام؟.. وتقول المرأة بســخرية وبتسأل ليه يا ســيدنا الافنــدى؟.. وأضافت قائلة في تهكــم.. البضاعة دي باتنــين جنيه يا حضرة.. وتفاجأ المرأة بأن الأفندي يضع يده في جيبه، ويخرج الجنيهين ويعطيهما للبائعة، ويقول لها «يالا يا ســت قومي روحي لأولادك»، وأخذ منها مشنة الفجل وحملها على كتفيه ســائراً بها إلى البيت، حيث اســتقبلته زوجته لتراه وقد ابتلت بدلته بالماء الذي تساقط من مشنة الفجل والجرجير، وبعد أن حكــى لها الحكاية قالت وهي تضحك.. كونك دفعت اتنين جنيه لواحدة غلبانة فدي حاجة كويســة، لكن قولي بقى ليه جبت معاك المشنة والفجل وبوظت بدلتك؟.. يضحك الشيخ ويقول «أصل أنا لو ســبت المشــنة للســت مش حتروح بيتها، حتفضــل قاعدة لغاية ما تبيع الفجل والجرجير».. وهكذا ظلت زوجته تهدي للجــيران حزم الفجل والجرجير، بعد أن تحكي لهم حكاية الشيخ وقلبه الكبير.

وهكــذا أعزائي القراء.. ألم أقل لكم منذ البداية أنني وقعت في مشــكلة، ماذا أكتب وماذا أترك من هذه الشخصية الثرية بالإبداع والإنسانية؟.. وعذري أنني حاولت.



مع ابنته آخر مزاج



مع ثومة والقصبجي والسنباطي وفريد الأطرش





زكريا يتصالح مع ثومة أمام القاضي

إسْماعِيل يَس

□ شارلى شابْلِن العَرَب



- أشهر سَـنِّيد.. مثَّـلَ ٥٠٠ فيلم بينها سبعون بطولة مطلقة
- غنى لـ«عبد الوهاب» فنال علْقةً ساخنة
- سخِر من كل شيء حتى فمه الواسع
- حقق ثروة ضخمة، ومات مُفلساً
- لاحقته لعنة الضرائب حتى قضت عليه

علـى الرغم من مرور سـنوات طويلة على ظهـور موجة أفلام «إسماعيل ياسـين»، لكننا لا نزال نشـاهد هذه الأفلام، ونضحك من القلب للمواقف التي تتضمنها حتى لو اتفقنا على سذاجة هذه المواقف، وبساطتها، والكثير من المبالغة التي تتضمنها، لكن الأمر المؤكد هو أن مجرد وجود اسـم «إسماعيل ياسـين» يعني بالنسبة لنا جميعاً متعة الابتسـام، والضحك من القلب، ويكاد يكون هذا الفنـان «الكوميدي» الفذ هو الفنان الوحيد الذي تتجمع كل أفراد الأسرة حول أفلامه تشاهدها، وتسعد بها، وتُطلق معها الضحكات الصافية لأنها بلا ابتذال أو خدْش للحياء.

وعلـى الرُّغم مـن أن «إسماعيل ياسـين» ظلَّ سـنواتٍ طويلة مهموماً برسـم الضحكات على شـفاه جماهيره، لكـنَّ الواقع أن حياته الخاصة كانت تشبه المآسي الإغريقية في قسوتها.

الهُروبُ منَ الجَحيم

وُلِد «إسماعيل ياسـين» في أحد أحياء مدينة السـويس، وعاش طفولة بائسـة، حيث لم يتمكن من إكمال تعليمه خاصة بعد وفاة والدته، وبعد أن ابتُلي والدُه بإدمان «الكوكايين»، وزادت المشكلة تعقيداً بعد القبض على الأب، ودخوله السـجن، حيث تدهورت أحوال الأسـرة حتـى وصلـت إلى الفقر المدقع، وتعـرض الطفل «إسماعيل ياسـين» لاضطهاد زوجة الأب وسـوء معاملتها له فقرَّر الهروب من البيت، وبدأ الاعتماد على نفسـه، وسافر إلى القاهرة

باحثاً عن الرزق، لكنَّ المشكلة كانت في عدم وجود مأوى. فكانت المساجد هي هذا المأوى، فظل يتنقل من مسجد إلى آخر خاصة مسجد «السيدة زينب» الذي شهد أيّاماً، وليالي طويلة للطفل الهائم على وجهه، والهارب من جحيم زوجة أبيه. وخلال سعيه للعثور على فرصة عمل يسُدُّ بها رمَقه، ويدبر من خلالها شئون حياته نجح في الوصول إلى وظيفة متواضعة في مكتب محام. مكّنته هذه الوظيفة من الحصول على قروش قليلة تكفي بالكاد لإيجار غرفة ضيقة فوق سطح إحدى العمارات، وما يتبقى يكفي لوجبة واحدة عادة ما كانت "ساندوتش" فول أو طعمية.

مُطربٌ.. ولكنْ

وبرغم هذه الظروف الصعبة التي كان الشاب الصغير يعيشها، لكن هوايته، وحبه للفن لم يغادره أبداً. بل ظلّت أنغام «السمسمية» التي يشتهر بها أبناء السويس ترنُّ في أذنيه طوال الوقت، وكان حلمه أن يصبح مطرباً يتعاظم كل يوم ليصل إلى الشهرة. والتي تمتع بها فترات كبيرة مثل «محمد عبد الوهاب» الذي كان كثيراً لا يتوقف عن ترديد أغنياته في أية مناسبة تسمح له بذلك، وبدأ «إسماعيل» يعرف طريقه إلى «الأفراح»، والحفلات، والمناسبات في عدة أماكن حتى بدأ يشتهر في تلك الأوساط. لكن القدر كان يخبئ له حادثة كانت محطة هامة في حياته؛ ففي هذه السن المبكرة لم يكن «إسماعيل ياسين» لديه خبرة اختيار الأغاني التي

تتفق مع المناسـبات التي يغني فيها فقد دُعي يوماً للغناء في أحد الأفـراح، ومن فرط إعجابـه بـ«عبد الوهـاب» راح يغني أغنيته «أيها الراقدون تحت التراب»؛ هذه الأغنية التي تتضمن كلماتها معاني كئيبة، وقاسية مما أغضب أهل الفرح، وأثار استياءهم منه فكانت النتيجة «علقة» سـاخنة كان من تداعياتها قراره باعتزال الغناء مبكراً.

المُنولوجستُ" المُهَرِّج

كان «إسماعيل ياسـين» يتردد كثيراً على شارع «محمد علي»، وهو كما يصفونه شـارع «الأرتيسـت» وأهل الفـن، وهناك تلقَّفه بعـض الفنانين مـن العازفين القدامى، وقدموا لـه نصيحة غالية بأن يترك الغناء، ويختار الفن الذي يتلاءم مع موهبته، وهو غناء «المنولوجات»، ومن وقتها عـرف «إسماعيل» طريق النجاح، فقد لفت الأنظار إليه بشدة، وبدأ الفنانون، والعازفون الذين كان يلتقي بهم على مقهى التجاريين الأشـهر بشارع «محمد علي» يستعينون بـه في الأفراح، والمناسـبات التي يقدمها، وانتقلت شـهرته من الأفراح إلى المسارح، و«الكازينوهات»، حيث استعانت به «بديعة مصابني» لتقديم فقرة في مسرحها الشهير، والواقع أن «بديعة» قد اسـتعانت بـ«إسماعيل» كمهرج «لتسـتثمر نجاحه كـمنولوجست لإضحاك روَّادها بين فصول المسـرحيات التي كانت تقدمها، لكن حدثـت ذات ليلـة مفارقة غريبة. عندما بلـغ إعجاب الجمهور

بـ«إسماعيل ياســين» حداً لم تكن «بديعة مصابني» تتصوره، فقد طلــب منه الجمهور إعادة مونولوجاته أكثر من مرة وســط تصفيق حاد، وتشجيع كبير، وهو ما أغضب «بديعة»، التي لم تكن تقبل أن ينــال أحد العاملين في مســرحها «سوكســيه» أكثر منها أو أن يتعدى الدور الذي رسمته له، وهو «المهرج»، وليس النجم.

لكــن «نجيــب الريحانــي» كان لــه رأي آخــر في «إسماعيل ياســين»، فقد أعجبه أداؤه بشــدة، واســتعان به لتمثيل دور في إحدى مســرحياته بعــد أن غاب أحد الممثلــين، وقرَّر أن يمنحه الفرصة كممثل.

مع سُلطانة الطَّرَب

تواصل نجاح «إسماعيل ياسين» فالتحق بفرقة «أمين عطا الله» المسرحية، وحصل على راتب شهري ١٢ جنيها، وفي هذه الفرقة حقق «إسماعيل ياســين» نجاحاً كبيراً خاصة من خلال رحلاتها في سوريا ولبنان، حتى التقطه صاحب ملهى «اللونابارك» بسوريا للعمل لديه مقابل مرتب أربعين جنيهاً شهرياً، وهو رقم كبير جداً بمقاييس ذلك الزمان، وبعد فترة عاد «إسماعيل ياســين» إلى مصر مــن جديد، وكانت تســبقه إلى القاهرة النجاحات التي حققها في ســوريا، مما دعا «بديعة مصابني» أن تدعوه للعمل في مســرحها مقابل ١٤ جنيهاً شــهرياً بالرغم من رأيها السابق فيه بأنه مجرد "مهــرج"، وفي نفس الوقت تلقى عرضاً من «منيرة المهديَّة» بمرتب

« ١٥ جنيـه» فوافق على الفور ليعمل مع سـلطانة الطرب «منيرة المهدية»، ولتمثل هذه المرحلة خطوة جديدة في مسـيرة «إسماعيل ياسين»، واستطاع أن يقدم مجموعة متميزة من «المنولوجات» التي جعلت لفن المونولوج مكانة كبيرة في الوسـط الفني، وأن يخلق له أنصـاراً ومعجبين، ويُذكر أن كبار الملحنين قد لحنوا له من بينهم «عبـد الوهاب» و«فريـد الأطرش» و«محمد فـوزي» و«منير مراد» و«محمود الشـريف» وغيرهم، وأصبح المونولوج على يد «إسماعيل ياسين» عنصراً مهماً في العديد من الأفلام السينمائية.

أرقامٌ قِياسيّة

انطلـق «إسماعيـل ياسـين» في السـينما ليحتـل من خلال مجموعـة أفلامه التي حمل الكثير منها اسمـه مكانة رفيعة في دنيـا «الكوميديا» والضحك. وليصبح «ماركة» مسـجلة في عالم الضحك. وقاسماً مشـتركاً في أعظم أعمال نجوم مصر والعرب. فقد بلغ رصيده من الأفلام ٥٠٠ فيلم خلال ٢٢ سنة منها سبعون فيلماً قام فيها بدور البطولة المطلقة أمام أشـهر نجمات السينما آنذاك مثل «ماجدة»، و«شادية»، و«هند رستم»، و«سميرة أحمد»، و«ليلى فوزي»، و«نجاح سلام»، و«زهرة العلا»، وغيرهن.. وكان من أبرز أفلامه ليلة الدخلة – الناصح – ليلة العيد – المليونير – البطـل – الفانوس السـحري – حلال عليـك – المجانين في نعيم.

وبالإضافـة إلى الأفلام التي لعب فيهـا دور البطولة فقد عُرِفَ «إسماعيل ياسـين» بأنّه أشـهر سَنِّيد في السـينما المصرية خاصة الأفلام التي شـارك فيها مع «فريد الأطـرش»، و«محمد فوزي»، و«أنور وجدي»، و«كمال الشـناوي»، وغيرهم، ولم تشهد السينما وحدها كل إنجازات «إسماعيل ياسـين»، ولكن كان له في المسرح صـولات وجولات، فقـد قدم من خلال فرقته المسـرحية، والتي شـاركه في تقديم أعمالهـا ألمع نجوم مصر في ذلـك الوقت أعمالاً مسرحية راقية مثّلت إضافة فنية مهمة لمسيرته، ومن غرائب القدر أن يكون هذا المسرح الذي عشقه نجم «الكوميديا» الأول «إسماعيل ياسـين» هو سبب الأزمة التي عاش معها سنواته الأخيرة بعد أن عجلت برحيله إثر تدهور حالته الصحية، والمادية.

حَبيبي كُوكُو

كان المسرح أحد الأحلام التي استقرت في أعماق ملك الكوميديا والضحك «إسماعيل ياسـين» بجنون. وكان أقرب الفنون إلى قلبه علـى رغم نجاحه الكبير في السـينما، لكن ظلت رغبته في تكوين فرقة مسـرحية تلح عليه. فقد كان يـرى في المحاكاة، والتفاعل الـذي يحدث بين الممثـل، والجمهور أخـذاً ورداً متعةً لا يمكن مقاومتهـا. وأن الفنان يحصل على أجره فـور تقديم إبداعه دون انتظار. وهنا كان قراره بتكوين فرقة مسرحية تحمل اسمه، وتضم ألمع نجوم عصره من بينهم «تحية كاريوكا»، «عبد المنعم إبراهيم»،

«اســتيفان روســتي»، «محمود المليجي»، «عبد الفتاح القصري»، «فردوس محمد»، «زهرة العُلا»، «محمد رضا»، وغيرهم.

كانت مســرحية «حبيبي كوكو» هي المســرحية الأولى التي تم افتتاحها في نوفمبر ١٩٥٤ لتبدأ مرحلة جديدة في مسيرة «إسماعيل ياســين» حيث قدم إحدى وخمســين مســرحية على مدى خمس عشــرة ســنة، وهو رقم قياســي لم يحققه نجم قبله؛ هذا الرقم احتاج تحقيقه جهداً خارقاً، ويذكر من عاصر «إسماعيل ياسين»» في هــذه الحقبة أنه علــى رغم خبرته، ومكانته الفنية الرفيعة فقد كان يستسلم للمخرجين، وينفذ تعليماتهم في التزام وتواضع.

ثَلاثُ زِيجَات.. وابْنٌ واحِد

بقدر ما شهدت مسيرة «إسماعيل ياسين» الفنية من نجاحات، حفلــت حياته الخاصــة بكثير من الإخفاقات. وتكشــف الأوراق الخاصة لهذا النجم المميز أنه قد تزوج ثلاث مرات، كانت الأولى عندما دخل في حالة عناد، وتَحَدٍ مع رجل آخر؛ أمّا الثانية فكانت تعمل «مونولوجست» واستمر زواجهما شهرين فقط، وفي عام ١٩٥٤ تزوَّج للمرة الثالثة والأخيرة من أم ابنه الوحيد «ياســين»، وكانت هــذه الزوجة هي الوحيدة التي أحبها «إسماعيل ياســين»، ووقع في غرامهــا من أول نظرة، وهي الزوجــة التي يعترف في مذكراته أنهــا صاحبة الفضل في ترتيب أوراق حياتــه، وتنظيم أموره بعد أن كانت حياته تتســم بالفوضــى، وأن علاقته بها ازدادت عمقاً

بعد أن أنجبا ابنهما «ياسين» الذي كان طفله المدلَّل حيث تتحول طلباتــه إلى أوامر واجبة التنفيذ مهما كانت صعبة التحقيق، وكان «إسماعيل» يقيم للابن «ياســين» كلَّ عام حفلاً أســطورياً احتفالاً بعيد ميلاده يشهد كل مظاهر السخاء، والبذخ.

مجلَّةُ إسماعيل ياسين

وتكشف أوراق هذا النجم الرائع أنه كان صاحب رؤية خاصة في الحيــاة، وكان لديه العديد من الهوايات من بينها إجادته العزف علــى البيانو، كما كان قارئاً نهمــاً، ولديه مكتبة زاخرة بمؤلفات كبار الكتاب، وكثيراً ما كان يقيم صالوناً ثقافياً في بيته يجتمع فيه مفكــرون وكتاب، بل كان يقيم ندوات يدعو فيها المعجبين بفنه، ويســتمع إلى آرائهم، ويجيب على تســاؤلاتهم، وتشير مذكرات «إسماعيل ياسين»، وأوراقه الخاصة أنه كان يهوى العمل الصحفي، وأنه أصدر ضمن مجلة الكواكب ملحقاً باسم مجلة إسماعيل ياسين الفكاهية، ويقوم بنفســه بتحرير المقالات والتحليلات السينمائية والمسرحية، ويتحدث عن مغامراته العاطفية، وبالإضافة لكل هذه الهوايات فقد كان مهتماً بالتصوير "الفوتوجرافي".

الدّونْجُوان

وعلى الرغم من أن ســطور حزينة تســيطر على مساحة كبيرة في مسيرة نجم الكوميديا الأول «إسماعيل ياسين»، لكن هناك صفحات أخــرى كان يرويها بنفســه. ويحولها إلى ســخرية ضاحكة. فهو

لا يتــورع أن يســخر حتى من نفســه خاصة « فمه الواســع» لكن أسراره، وأوراقه لا تغفل أن «سُمعة» كان «دونجواناً» كبيراً. وأن له العديد من المغامرات العاطفية، وهو شــاب صغير. فقد أحب «بنت الجيران» مثل أقرانه من الشــباب. وبحكــم طبيعته الكوميدية فقد كانــت مغامراته العاطفية كثيراً ما تتحــول إلى مواقف «ضاحكة».
ويحكي «إسماعيل ياسين» في أوراقه أنه قبل أن يتزوج أحب جارته الحســناء. وكانت طالبة في مدرســة «السنيَّة»، وكثيراً ما كان يقف بالساعات بجوار نافذة غرفته لمتابعة الجارة الجميلة. والتي شعرت باهتمامــه بها فكانت تمطره بالنظــرات الفاتنة من وقت إلى آخر.
ويعترف «إسماعيل ياســين» بســذاجته عندمــا زاره أحد أصدقائه ذات يوم فأشــار له على جارته الجميلــة من النافذة. ولأن صديقه كان ضابطاً فقد أغرت بدلته «الميري» جارته الحســناء فتحوّلت إلى صديقه. وعندما اكتشف «إسماعيل ياسين» ذلك جن جنونه. وأخذ يتابع صديقه الذي اعتبره خائناً. واعتزم الانتقام منه. وعندما علم أن الحبيبــين قد اتفقا على موعد غرامي بينهما قام بوضع المنوم في كوب الشــاي الذي قدمه لصديقه. لكن الظروف شــاءت أن يصمم صديقه الضابط أن يشــرب «إسماعيل ياسين» بدلاً منه وأقسم بأغلظ الأيمان ليسقط في يده. ويشرب المقلب حتى الثُمالة.

حكايتُه مع فُستانِ المُطربَة

وعلى رغم كثرة المواقف الحرجة. والمثيرة في حياة نجم الكوميديا الأول لكنه يروي أكثر المواقف المحرجة التي صادفته فيقول: عندما

كنت أعمل «مونولوجست» في بداية حياتي فقد كانت تمر عليَّ فترات طويلة أعاني خلالها من عدم وجود عمل. وفي أحد الأيام تعرفت على مطربة مشهورة آنذاك، وطلبَتْ منِّي أن أصاحبها في أحد الأفراح التي تحييها لإلقاء بعض "المونولوجات" بعد أن تقدم هي وصلتها، وكان ذلك يمثل لي شيئاً مهماً.. كان الفرح في مدينة «بلبيس» بالشرقية، ومع بدايته أمطرت السماء بشدة لينتهي الفرح قبل أن يبدأ، وعندما شرع الفنانون في رحلة العودة، كان الطريق قد بلل بمياه المطر. وتحولت الأرض إلى برَكٍ من الطين. وراح «إسماعيل ياسين» في محاولة منه لاسترضاء المغنية حتى يضمن أن يعمل معها فيما بعد. فأخذ يفسح لها الطريق. ويصيح: «وسع للفنانة الكبيرة يا ولد انت وهو».. لكن حظه العاثر تسبب في أن الفنانة وقعت في الطين. وغطى الوحل فستانها. وراحت تبكي. وهنا أراد «إسماعيل» أن يقدم لها ترضية جديدة فاقترح عليها عند وصولهم المحطة أن تخلع فستانها في مقصورة القطار. ويقوم هو بغسله في الحمّام. وبتجفيفه في الطريق. وعندما يصل القطار بالقرب من محطة القاهرة يسلمها الفستان بعد أن يكون قد جفت منه المياه فترتديه دون أية مشاكل، وبالفعل استحسنت المطربة فكرة «إسماعيل ياسين». وسلَّمته فستانها بوحله. وظلت حبيسة في المقصورة بالملابس الداخلية. وأخذ «إسماعيل» يزيل الوحل من الفستان. وينظفه بالماء لكن الفستان لم تجف منه المياه فلم يكن هناك شمس أو هواء أو حرارة تساعده على الجفاف. ففكر «إسماعيل» أن

يقـف على نافذة القطار معرضاً الفسـتان للهواء من الخارج، حيث أخـذ في الترنـح ذهاباً وعودة بينما «إسماعيل» في منتهى السـعادة لقرب انتهاء المهمة، لكن الرياح لا تأتي عادة بما تشـتهي السفن، فقد جاء من الجانب الآخر قطار سـريع ليطير الفسـتان في الهواء، وتزداد المشـكلة تعقيداً، فوقف حائـراً لا يدري ماذا يفعل خاصة، وأن القطار أخذ يقترب من محطة القاهرة، والمطربة ترسل إليه كل خمـس دقائق أحد أعضاء الفرقة تسـأله عن الفسـتان، فيرد قائلاً «هانت باقي شـوية وينشف»، وهو لا يدري كيف يتخلص من هذه الكارثـة التي وقعت فوق رأسـه، فعندما اقـترب القطار من محطة القاهرة لم يجد «إسماعيل ياسـين» حلاً سـوى أن يقفز من شـباك القطار، لكنه ولسـوء حظه وقع على رأسه، فحملوه إلى المستشفى، أمـا المطربـة فبقيت في مقصـورة القطار، وأخذت تبكـي حتى مرَّ من أمامهـا راكب يرتدي «بالطو»، فأشـارت إليه، وهي تنظر من الشـباك، واسـتحلفته أن ترتدي «البالطو»، ودفعـت له فيه مبلغاً كبيراً، ولبسـت «البالطو» وخرجـت به، وذهبت إلى منزلها، ومنذ ذلك اليوم لم يقترب «إسماعيل ياسين» منها.

كارثةُ الضَّرائب

يشهد كثير من الفنانين الذين عاصروا «إسماعيل يس» أنه حقق نجاحاً طاغياً، وشـهرة واسـعة في العالم العربي كله، وأن بيته في ضاحيـة الزمالك الراقية كان ملتقى للنجوم، وأن الفنان الكبير كان كريماً إلى أبعد الحـدود، وأنه حقق ثروة كبيرة تقدر بثلاثة ملايين

جنيــه، هي ثروة ضخمة جــداً بمقاييس ذلك الزمــان، ولأن دوام الحال مــن المحال فقد تبدَّلت أحوال ملك الكوميديا من قمة الثراء إلى قــاع الفاقة، فقــد أعطته الدنيا ظهرها من جديد، وانحســرت عنــه الأضواء، واضطر بعد أن كان صاحب أكبر فرقة مســرحية في مصر إلى العمل كـ«مونولوجســت» في الصالات في مصر والشــام بعد أن تفككت فرقته، وكان سبب هذا الانحسار هو نفسه المسرح الذي عشقه، وأعطاه أجمل ســنين عمره، فقد فاجأته مصلحة الضرائب بأرقام فلكية عن نشاطه، ومســرحه، وقامت بالحجز على عمارته مقابل ديون بلغت وقتها ٢٥ ألف جنيه، ووصل به الحال أن اضطر إلى الســفر إلى لبنان، والعمل فيه، ومن هناك أرسل إلى«عبد الحميد جودة السَّحَّار» رئيس مجلس إدارة هيئة السينما المصرية يطلب منه العمل في أي فيلم لمساعدته مادياً، فرد عليه بسرعة الحضور للتوقيع علــى عقود عدة أفلام، لكنه عندما عاد لم يجد ســوى الوهم، وفي عام ١٩٧١م قدَّم للتليفزيون المصري فكرة فيلم بعنوان «نصف مليون جنيــه»، وكان هذا هو العمل الأخير في حياة «إسماعيل ياســين»، والغريب أنه قد تم تغيير اسم الفيلم ليُصبح «وصية المرحوم».

المَشهدُ الأخيــر

إن المســيرة الحافلة بالتفاصيل، والإنجــازات لفنان قدم الكثير للســينما والمســرح، ولفن «المونولوج»، وصنع البسمات والضحكات على شــفاه الجميع منذ ســنوات طويلة وحتى اليوم؛ هذه المســيرة لا تخلــو في مراحلها الأخيرة من مشــاهد حزينــة. فلم يكن يخطر

ببـال أحد من عشـاق فن «إسماعيل ياسـين» أن ملك الكوميديا في العصر الذهبي للسينما راح يتسوَّل الأدوار لكي يعيش. وفي أرشيفي الخاص. ومع عشـرات الصور التي تنطق بمسـيرة نجم الكوميديا الأول ألتقـط آخـر حديث صحفـي أجري معه قبـل وفاته بأيام. كانت كلماته تنطق بحجم المرارة التي يشعر بها. أتوقف عند جملة قالها بأسـى: «أنا لسـه ما عجزتش عشان أبطل تمثيل.. أنا عمري ٥٩ سـنة. و«موريس شـيفاليه» عمره «٨٣ سنة» ولسه بيمثل.. وفي هذا الحديث أيضاً. وبروح الفكاهة التي اشـتهر بها قال «إسماعيل ياسـين»: أنا على اسـتعداد لعمل أدوار تناسـب سنِّي. وهي أدوار الأب. والعم بشرط ألا يعطوني دور والد «أمينة رزق».

وأتوقـف عند جملة قالها الراحل السـاخر ملك الكوميديا الذي لا يزال يعيش بيننا. يلتف كل أفراد الأسرة حول أفلامه. ويطلقون الضحكات الصافية والابتسامات يقول «إسماعيل ياسين» قبل وفاته بأيام لأحـد أصدقائه: ولا يهمك أنا لن أخـاف من «عزرائيل» فقد أعددت له ألف نكتة وسوف أموت - كما عشت- من الضحك!



ياسين يقلد والده

مع زوجته


فرقة ملوك الضحك
تحية كاريوكا
شادية
إسماعيل يس
عبد الغني السيد
شكري سرحان
شارلي شابلن
العرب

فهرست الكتاب

الصفحة

قبل أن نقرأ ٣
أنور السادات ٥
أم كلثوم ٢١
الشيخ متولي الشعراوي ٣٧
محمد نجيب ٤٩
أمينة رزق ٦١
توفيق الحكيم ٨٩
الملك فاروق ١٠١
نجيب الريحاني ١١٣
فؤاد سراج الدين ١٢٥
عبد الحليم حافظ ١٣٩
مصطفى أمين ١٦١
يوسف وهبي ١٧١
ثروت أباظة ١٨٥
زكريا أحمد ١٩٥
إسماعيل ياسين ٢٠٧